الطَّامَّاتُ العَقَدِيَّةُ

عِنْدَ الحرَكَةِ الوَهابيَّة



عبد الله محمد عكور



الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤)هوهو حفيد الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، ونحن أتباع الأشعري في العقيدة، فهي شهادة من النبي ﷺ على أن الله يُحب من كان على هذه العقيدة، وأنهم يُحبون الله تعالى،،،

وإنعِم بها منقبة !!!

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المبدئِ المعيد، الفعالِ لما يريد، ذي العرش المجيد، والبطشِ الشديد، الهادي صفوة العبيد، إلى المنهج الرشيد، والمسلكِ السديد، المنعِم عليهم بعد شهادة التوحيد، بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد، السائقِ لهم إلى اتِّباع رسوله المصطفى ﷺ واقتفاء صحبه الأكرمين بالتأييد والتَّسديد، المتجلي لهم في ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التي لا يدركها إلا من ألقى السَّمعَ وهو شهيد، المُعَرِّفِ إياهم في ذاته؛ أنه واحدٌ لا شريك له، فردٌ لا مِثل له، قديمٌ لا أول له، أزليٌّ لا بدايةَ له، أبديٌّ لا نهايةَ له، لم يزل ولا يزال موصوفاً بنُعوتِ الجلال والكمال، ليس بجسمٍ مصوَّرٍ ولا جوهر مُقَدَّرٍ، لا تَحلُّه الجواهر ولا الأعراض، بل لا يماثل موجوداً ولا يُماثله موجود، وليس كمثله شيء ولا هو مثلُ شيء، لا يحِدُّهُ المقدار ولا تحويه الأقطار، ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون والسموات، استوى على العرش على الوجه الذي قال وبالمعنى الذي أراد، استواءاً مُنَزَّهاً عن المماسَّة والاستقرار، والتمكُّنِ والحُلول والانتقال، لا يحملُهُ العرشُ ولا يحويه، بل العرش وحَمَلَتُهُ محمولون بلطف قُدرته، ومقهورون في قبضته، فوق كل شيء فوقيةً لا تزيده قُرباً إلى العرش والسماء، بل هو رفيع الدرجات عن العرش، كما أنه رفيع الدرجات عن الثرى، قريبٌ من كل موجود، وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد، لا يماثل قربُهُ قُربَ الأجسام، كما لا تماثل ذاتُه ذواتِ الأجسام، لا يحِلُّ في شيء ولا يحِلُّ فيه شيء، تعالى عن أن يحويه مكان، كما تقدَّس عن أن يحِدَّه زمان، كان قبل خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان، لا يزال في نُعوتِ جلاله

مُنَزَهاً عن الزوال، وفي صفات كماله مُستغنياً عن زيادةِ الاستكمال، متفردٌ بالخلق والاختراع، متوحدٌ بالإيجاد والإبداع، خلق الخلقَ وأعمالهَم، وقَدَّر أرزاقَهم وآجالهَم، لا يشذُّ عنه مقدور، ولا يعزب عن علمه تصاريف الأمور، لا تُحصى مقدوراتُه ولا تتناهى معلوماتُه، عالِمٌ بجميع المعلومات، محيطٌ بما يجري في الأرضين والسَّماوات، لا يعزُب عنه مثقالُ ذرةٍ في الأرض ولا في السَّماء، يعلم السِرَّ وأخفى؛ بعلمٍ قديمٍ أزليٍّ لم يزل موصوفاً به، مريدٌ بإرادةٍ قائمةٍ بذاته في جملةِ صفاته ، قدَّر الأشياء بإرادته فكانت كما أراد في سابق عِلمِهِ، سميعٌ بصير؛ يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئيٌ وإن دقّ، لا يحجب سمعَه بُعدٌ، ولا يدفع رؤيتَه ظلامٌ، يرى من غير حدقةٍ وأجفان، ويسمع من غير أصمخةٍ وآذان، كما يعلم بغير قلب، ويبطش بغير جارحة، ويخلق بغير آلة، متكلمٌ آمرٌ ناهٍ واعدٌ متوعدٌ بكلامٍ أزليٍّ قديمٍ قائمٍ بذاته لا يُشبه كلامَ الخلق، فليس بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك أجرام، ولا بحرف يتقطع بإطباق شِفةٍ أو تحريك لسان، وأن التوراةَ والإنجيلَ والزَّبورَ كُتُبُهُ المُنَزَّلةُ على رسله، والقرآنُ خاتمُ كتبه أنزله على قلبِ رسولهِ محمدٍ بواسطة الأمين جبريل، كل موجودٍ سواه حادثٌ بفعله، وفائضٌ من عدله على أحسنِ الوجوهِ وأكملِها، وأتمِّها وأعدلها، حكيمٌ في أفعالهِ عادلٌ في أقضيتِه، ولا يُقاس عدلُه بعدل العباد .

بعث الرسلَ وأظهرَ صِدقهم بالمعجزات، فبلَّغوا أمرَه ونهيَه ووعدَه ووعيدَه، كلٌ إلى قومهِ أُرسِل، وإلى رهطهِ وبلغتهم بُعث، فوجب على الخلق تصديقُهم فيما جاؤوا به، واتِّباعهم فيما أمروا، لكونهم مبلغِّين عن رب العالمين، وبعث النبيَّ الأميَّ القرشيَّ العربيَّ سيدَنا محمداً بنَ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلبِ ﷺ ، إلى كافةِ العرب والعجَم، والجنِّ والإنس، رحمةً للعالمين ، بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا،

ختم برسالته الرسالات، ونسخ بشرعه الشرائع إلا ما قرره، وفضَّله على سائر الأنبياء والرسل، وجعله سيِّدَ البشر، ومنع كمالَ الإيمان بشهادة التوحيد: «لا إله إلا الله» ما لم تقترنْ بها شهادةُ الرسول : «محمدٌ رسول الله»، جعل كلامه في فمه، وصلَّى عليه بنفسه، وأمر ملائكته بالصلاة عليه، وشرف المؤمنين بالسلام عليه، فيا له من شرف!! ويا له من ذكر علا، أن باشر الحقُّ الصلاةَ عليه، ألزم الخَلق بتصديقِه في جميع ما أخبر عنه من أمر الدنيا والآخرة، فهو لبنة التَّمام، ومسك الختام، فلا يُقبَلُ إيمانُ عبدٍ حتى يؤمنَ بما أخبر عنه بعد الموت، ومنه سؤالُ القبرِ، والبعث بعد الموت، والميزانُ، والصراطُ، والحسابُ، والجنةُ وهي دارُ كرامته لمن آمن به، والنارُ وهي دارُ غضبهِ لمن كفر وجحد به، وهما باقيتان لا تفنيان، وأن اللهَ تعالى أكرم سيدَنا محمداً ﷺ بالكرامات الكثيرة منها: الحوضُ، يشربُ منه المؤمنون، والشفاعةُ الكبرى، ولواءُ الحمد، والمقامُ المحمود، والوسيلةُ، ونؤمن بأنَّ أفضلَ الخلقِ بعدَ الأنبياءِ صحابةُ النبي ﷺ وأفضلُهم؛ أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم عليٌّ، ثم باقي العشرةِ المبشَّرين بالجنة، والمهاجرين والأنصار، رضوان الله عليهم، ونُحسِن الظنَّ بجميع الصحابة، وأن أزواج النبي ﷺ هنَّ خير النساء، صنعهنَّ الله تعالى على عينه، ليتشرفن بأمومة المؤمنين، وأنَّ النبيَّ ﷺ هو الدُّرَّةُ اليتيمةُ في سلسلةِ النَّسَبِ الشَّريف، فما كان قبلَه من الآباءِ الكرام، حملةِ نورهِ قبل بروزه، أكرمهم اللهُ بحمل نوره وسمَّاهم السَّاجدين، وما كان بعده ممن انحدر من صُلبه من طريق السيدة فاطمة البتول، سمَّاهم أهلَ البيت، وطهَّرهم من دنسِ الكفر والمعاصي تطهيراً برحمته، وإكراماً لنبيه شرَّف جميعَهم السابقَ منهم واللاحق، ورفع نسبهم على سائرِ الأنساب، فهم مطهَّرون بتطهير الله لهم، ونثني عليهم كما أثنى الله تعالى ورسوله، رضي الله عن جميعهم، وأن السيدة فاطمة هي سيدةُ نساء العالمين، وأن الحسن والحسين ريحانتا نبي هذه الأمة، وسيدا

شباب أهل الجنة، هذا؛ وصلى الله على الدرة اليتيمة، التي دارت عليها المكوَّنات، وسلم على ذاته الشريف أشرف السلام وأزكى الصلوات، وصلَّى الله عليه في الأرضين والسماوات، كلما ذكره ذاكر، وكلما غفل عن ذكره غافل، عدد خلقه كلهم، وزنة عرشه وما دونه، ورضاء نفسه وبعد الرضا، ومداد كلماته .

فمن اعتقد ذلك مُوقِناً به كان من أهل السُنة والجماعة.

وبعد؛ فهذه هي عقيدة المسلمين من عهد الصحابة إلى يومنا هذا، بدأتُ بها الكتاب، حتى نرى التمايز بين عقيدة أهل السنة والجماعة، القائمةِ أصولُها على التنزيه، وعقيدة المجسمة الحشوية القائمة أصولها على التجسيم والتشبيه، الذين خالفوا السلف، ولم يوافقوا الخلف، فيكون المسلم على بصيرةٍ من أمره فيهم، وأنهم مهما أجلبوا بخيلهم ورجِلهم، وأنفقوا الأصفر والأبيض في سبيل نشر باطلهم، فلن يغني عنهم شيئا، وهو في محك التحقيق صرير باب، أو طنين ذباب، وأن الأصح هو الأبقى، وأن الحق هو الأظهر، وقد دأب أهلُ العلم في كل وقتٍ إلى تبيين الحق، وقمع الباطل الذي ينعق به أهلُه، ليحفظوا على الناس عقائدهم، فيزيلون ظلام الجهل والباطل بما ينشروه من نور العلم والحقيقة، وفي هذا الكتاب سأورد ما استطعت إيراده، من نصوص العقائد الزائفة، لطائفة الحشوية المجسمة، المتسربلة بثوب الوَهابيَّة، ليعلم الناس باطلهم فيجتنبوه، ويكونوا على بصيرة من أمرهم، فلا يغتروا بجلجلة الباطل الذي اصطنعوه، وحتى تفرق أيها المسلم بين عقيدتهم وعقيدة أهل السنة والجماعة، لا بد من عرض كل عقيدة يأتون بها على المحكم من كتاب الله تعالى، وأوله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٍ﴾ [الشورى: ١١]، فإذا قالوا لك: إن الله في السماء، فاعلم أن حرف (في) ظرف مكان، والمكان من لوازم الأجسام، والله تعالى

ليس بجسم، فلا يحل في الأماكن، وإلا لزم مشابهته لخلقه، فخالفنا الكتاب العزيز .

وإن قالوا: إن الله على العرش، فاعلم أن العرش مكان، والله منزهٌ عن المكان، لأن المكان من لوازم الحسيات الحادثة، ومن كان عليه فهو محمول، ومن كان محمولا كان مخلوقا، والله تعالى خالق وليس مخلوقا .

وإن قالوا: إن لله يداً وعيناً ووجهاً، هي صفات وصف بها نفسه في كتابه، فاعلم أن هذه أعضاء وليست صفات، فاليد عضو، والعين عضو، والوجه عضو وهو مجمع الحواس، وهذه من لوازم المخلوقين، والله تعالى ليس كمثله شيء، فإن قالوا: نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقول: نعم، لكن بالمعنى الذي أراده الله، لا بالمعنى الذي أردتموه أنتم، فالوجه واليد والعين لها معان كثيرة بمقتضى اللغة العربية، والقرآن إنما أُنزل بلغتنا، فيجب حمل المعنى على ما تقتضيه اللغة، وإنما يتحدد المعنى من خلال النص الذي به وردت الكلمة، فنحملها على المعنى المراد بشرط أن لا نخالف المحكم من كتاب الله تعالى .

مدخل تاريخي

لما استقر سيدنا يوسف ﷺ في مصر، ثم التحق به سيدنا يعقوب ﷺ وأبناؤه، اتخذ لهم أرضاً على ضفة النيل، وبنى دياراً لهم ولأبنائهم، فعاشوا هناك مئات السنين حتى كثروا، وخلال هذه المدة تأثروا بالعقيدة القبطية، ونسوا الحنيفية دين جدهم إبراهيم ﷺ، فتسللت إليهم عقيدةُ الفراعنة، القائمةُ على اتخاذ الآلهة المرئية بالعين، وترسخت فيهم هذه العقيدة، حتى أضحوا لا يؤمنون بإله لا تراه العين، أو يدخل تحت سلطان العقل، فبعث الله تعالى إليهم سيدنا موسى ﷺ، ورأوا من معجزاته ما

حملهم على الإيمان برسالته، فخرج بهم من مصر إلى سيناء، وعبر بهم البحر الأحمر، وأهلك فيه فرعون وجنوده بالغرق، وما أن ساروا قليلاً حتى أتوا على قوم يعبدون الأصنام، فقالوا لموسى: اجعل لنا إلهاً نراه بأعيننا كما هو حال هؤلاء...ورغم كل المحاولات التي حاولها معهم سيدنا موسى ليصرفهم عن عقيدة التجسيم إلى عقيدة التنزيه، إلا أنهم آمنوا بظاهرهم خوفاً من عقاب الله الذي كان يُنزله فيهم بين الحين والآخر، لكنَّ قلوبَهم أُشربت عقيدةَ التجسيم، ولما ذهب سيدنا موسى لتكليم الله، اتخذوا لهم عجلاً من ذهب إلهاً سجدوا له، وهكذا بقي فيهم حبُّ العجل وحبُّ الدنيا، أكبر من حبهم لله تعالى .

ولما هاجر سيدنا محمد ﷺ إلى المدينة المنورة وجد فيها قبائل من اليهود، فلما عرفوه وتيقنوا أنه النبي الذي بشر به موسى وعيسى، منهم من آمن؛ وهم قليل، وبقي الأكثرية على كفرهم وعداوتهم، وأخذوا يحيكون المؤامرات، ويشيعون الفتن والإشاعات، إلى أن استأصلهم النبي من المدينة لنقضهم العهود المبرمة مع المسلمين، ودخل منهم نفر في الإسلام ظاهراً من أجل الكيد له، وأخذوا ينشرون عقائدهم التجسيمية الزائفة، ورغم اتخاذ سيدنا عمر موقفاً حازماً منهم، إلا أنهم بقوا يعملون في الظلام، فتسربت هذه العقائد إلى دائرة الفكر الإسلامي تحت مسمى: «الإسرائيليات»، وأكثرها كان في التفسير والعقيدة، ولاقت هذه العقائد قلوباً مُحبَّة للفتن اشرأبت لها، وتلقفتها بشغف، فدوَّنوها ونشروها، فأطلق عليهم أهل عصرهم ألقاباً مثل: «الحشوية» و«المجسمة» ، وبقيت كتبهم في طي النسيان بجهود العلماء الذين طمسوا هذه الفتنة ببيان الحق، وبقي الأمر كذلك حتى أتى ابن تيمية، فحمل لواء التجسيم، وأحيا ما أماته الناس من هذه البدع، وتبعه أناس كثيرون، وتعرض للأذى من العلماء بالحبس والتعزير، حتى قضى نحبه في السجن، وحمل لواءه من

بعده بعض تلامذته، فألفوا المؤلفات في هذه العقيدة، وقالوا بأن الله جسم، وله أعضاء، بصورة البشر، يتحرك ويجلس ويقوم، إلى غير ذلك من لوازم الأجسام، ثم جاء ابن عبد الوهاب النجدي، فاعتنى بكتب ابن تيمية، ونفض عنها غبار الهجر، وعلمها أتباعه على أنها وحي من السماء قدسية، وبقي الأمر إلى ما نراه اليوم .

فهذا ملخص لهذه العقيدة، التي تفشت في المسلمين ردحاً من الزمن، وبفضل الله تعالى تصدى لبدعتهم علماء، صنفوا المصنفات، وألقوا المحاضرات، وردوا سهام المبتدعين إلى نحورهم، حتى انتهى الأمر بعلماء السنة والجماعة من كافة أرجاء الأرض، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم، في مؤتمر «قروزني» المنعقد في دولة الشيشان، أن اتخذوا قراراً جماعياً أعلنوا فيه أن الوَهابيَّة ليسوا من أهل السنة والجماعة، وأنهم فرقة مبتدعة في العقيدة، ضالة شاذة عن منهج المسلمين، أصحاب المذاهب المقررة؛ منهج الأشعري في العقيدة، والمذاهب الأربعة في الفقه، ومذهب الجنيد في التصوف

إن أتباع هذه الحركة يشكلون مع الرافضة وجهين لعملة واحدة، أنشأها الاستعمار البريطاني، فأنشأ فرقة الشيخية في العراق وفارس، وأنشأ الوَهابيَّة في جزيرة العرب، أما الشيخية فكان برنامجهم تنقيص الصحابة، وتكفيرهم، وأما الوَهابيَّة فكانوا بعكس ذلك، لكنهم عادوا النبي ﷺ وأهل بيته، وعلماء الأمة المخلصين المتمثلين بالتصوف، فطمسوا كل معلم لآل بيت النبي وحاربوا الأولياء والعلماء، وأتلفوا الكتب التي تأمر بالصلاة على النبي، ومنعوا زيارته والتوسل به، حتى بلغ بهم الأمر بطمس ما نسبته (٩٥٪) من المعالم الدينية والتاريخية في بلاد الحرمين، تحت ذريعة الشرك، حتى جعلوا النبي ﷺ وآل بيته معلماً من معالم الشرك والوثنية، وما نراه

اليوم هو أكبر شاهد على أفعالهم المشينة، وسأعرض تالياً ملخصاً لأهم ما قاموا ويقومون به:

١. تبني عقيدة التجسيم في حق المولى جل شأنه .
٢. الاختلال في تعظيم النبي ﷺ وآل بيته الطاهرين .
٣. الإرهاب الفكري؛ وهو رمي المخالفين لهم بالكفر والشرك والبدعة
٤. الإرهاب الدموي؛ وهو قتل كل من خالف رأيهم أو عارضهم إذا قدروا عليه.
٥. محاربة التصوف وأهله، وهو الجانب الأخلاقي والروحي في الإسلام .
٦. عدم الاعتراف بأي جماعة إسلامية غيرهم .
٧. عدم الاعتراف بأئمة التفسير، ومحاربتهم للتأويل والمجاز .
٨. ميلهم للاستدلال بالحديث والأثر، وابتعادهم عن الاستدلال بالقرآن، خاصة في مسائل العقيدة .
٩. تلاعبهم بالحديث النبوي وتناقضهم بالحكم عليه، حسبما يقتضيه مذهبهم، وترتضيه أهواؤهم .
١٠. محاربتهم للعقل والحوار، وسلوكهم طريق فرض الرأي بالعصبية.
١١. رفضهم القياس إلا في تشبيه الله بخلقه .
١٢. موادعتهم لبني إسرائيل، ومعاداتهم للموحدين .
١٣. اختلالهم في بيان المقصود بعلم التوحيد أو العقيدة .
١٤. ابتداعهم تقسيماً للتوحيد إلى ثلاثة، يشبه الثالوث عند النصارى.
١٥. الفهم السقيم للنصوص المتشابهة وكلام العلماء .
١٦. تركيزهم للسؤال بـ :«أين الله»؟

١٧. استدلالهم ببعض النصوص التي توهم العلو، لإثبات أن الله على العرش بذاته، ومنها أحاديث المعراج .

١٨. الغلو والتطرف الذي تبنته في أمور كثيرة .

١٩. تبنيهم لحديث افتراق الأمة إلى (٧٣) فرقة، وأن كل هذه الفرق في النار إلا هم .

٢٠. منعهم لزيارة القبور وشد الرحل إليها .

٢١. منعهم للصلاة في المساجد المبنية على قبر .

٢٢. طمسهم الآثار الدينية والتاريخية في بلاد الحرمين بذريعة الشرك .

٢٣. الاختلال في تعريف البدعة .

٢٤. منعهم للتوسل بالنبي ﷺ وغيره من الأولياء، واعتبار ذلك من أقبح أنواع الشرك .

٢٥. تحريمهم التبرك بآثار النبي ﷺ والصالحين .

٢٦. محاربتهم للاحتفال بيوم (١٢) ربيع الأول، يوم مولده ﷺ .

٢٧. التشدد في فرعيات المسائل الفقهية، بما يخرجوه من الملة، كالتلفظ بالنية .

٢٨. غلوهم في علمائهم مثل ابن تيمية، ويعدونه قاهر التتر .

٢٩. استحلالهم الكذب ضد الخصم لنصرة المذهب .

٣٠. استحلالهم العبث بكتب التراث الإسلامي، لنصرة مذهبهم

٣١. استشهادهم بكتب بني إسرائيل المحرفة، وزعمهم أنها لم تحرف

٣٢. هذه أهم الأمور التي امتازوا بها، ويعملون من أجلها، وينفقون الأموال الطائلة، ويجندون العملاء من أجل تنفيذ هذا البرنامج .

بين يدي الكتاب

حتى نفهم جوهر أي علم لا بدَّ من معرفة مصطلحاته أولاً، وهي بمثابة الأدوات للصانع، فصناعة مسائل التوحيد تحتاج لمصطلحات نستعملها في سياق الكلام عن هذه العقيدة، وهكذا قل في كل علم وفن، ولنقدم بين يدي بحثنا مقدماتٍ فيها ما لا نستغني عنه من هذه الأدوات للوصول إلى كمال هذا العلم فنقول:

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، هذه الآية هي الأسُّ في هذا العلم، حيث قسمت القرآن الكريم إلى قسمين؛ محكم ومتشابه، ثم أخبرت بوجوب تأويل المتشابه، حتى لا يقع المسلم في ربقة التجسيم، فينسب إلى الله ما لم ينسبه لنفسه، كما أخبرت أن من يتتبع المتشابه إنما هو باغي فتنة، وليس بوسع أحد تأويل هذا المتشابه، وإنما يختص به الراسخون في العلم فقط، وقد شرفهم الله في هذه الآية بشيئين:

الأول: اقتران اسمهم باسم الله تعالى في العلم .

الثاني: رسوخهم في العلم حتى علموا المقصود الصحيح من هذا المتشابه.

ففي هذه الآية جاءت اصطلاحات هي: المحكم، المتشابه، التأويل، التفويض، وحتى نكون على بصيرة من الأمر كان لا بد من شرح موجز لكل واحد، ثم نضيف بعض المصطلحات التي أضافها أهل الابتداع؛ كالتعطيل، ومنها ما أضافها أهل السنة؛ كالتشبيه، والتجسيم .

المحْكَم والمتشابه

اعلم ـ وفقني الله وإياك ـ أن كتاب الله تعالى دل بمجموعه على أنه محكم، كما دل بمجموعه على أنه متشابه، ودل على أنه من القسمين معا: محكم ومتشابه :

أما القسم الأول (المحكم): فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]، فالقرآن كله محكم لكونه من عند الله تعالى، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه ليس بوسع أحد من المخلوقين الإتيان بمثله، ولا ببعضه سواء كانوا فرادى أو مجتمعين، وما أتى أحدٌ بنصٍّ عارضَ فيه كتابَ الله تعالى إلا كان القرآن أفضل منه .

وأما القسم الثاني (المتشابه): فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً ﴾[الزمر: ٢٣]، ومعنى متشابه هنا: أنه يشبه بعضه بعضا، حسناً وبلاغةً وفصاحةً وإعجازاً وتشريعاً وأحكاماً، فيُصدِّق بعضُه بعضا، لا تجد بين آياته وأحكامه وتشريعاته ما يُرد، ولا ما يُنقض، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً} [النساء: ٨٢]، فسبَّب هذا الاختلاف لو كان موجوداً الاختلال في النسق والفصاحة والبيان.

وأما القسم الثالث (محكم ومتشابه): فمأخوذ من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، دلت الآية على أن القرآن فيه محكم، يسهل معرفة معناه

بشكل يسير، وهذا المحكم جعله الله أصلا يُرجع إليه لمعرفة المتشابه، وفيه متشابه، وهو الذي يحتاج لبحث وتدقيق حتى يُعرف معناه .

المحكم:

المحكم في اللغة: المنع، قال الشاعر:

أَبَنِي حَنِيفَةَ أَحْكِمُوا سُفَهَاءَكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمُ أَنْ أَغْضَبَا

أي امنعوهم من التصرف الخاطئ، كما اسْتُعْمِلَ الْإِحْكَامُ فِي الْإِتْقَانِ وَالتَّوْثِيقِ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُ تَطَرُّقَ مَا يُضَادُّ الْمَقْصُودَ، وَلِذَا سُمِّيَتِ الْحِكْمَةُ حِكْمَةً، وَهُوَ حَقِيقَةٌ أَوْ مَجَازٌ مَشْهُورٌ ، أُطلق الْمُحْكَمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وَاضِحِ الدَّلَالَةِ من الآيات عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ، لِأَنَّ فِي وُضُوحِ الدَّلَالَةِ مَنْعاً لِتَطَرُّقِ الِاحْتِمَالَاتِ الْمُوجِبَةِ لِلتَّرَدُّدِ فِي المُرَاد.

فالآيات المحكمات لا تحتاج لكثير من البحث لمعرفة المراد منها، فمثاله في العقيدة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، بيَّنت الآية أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من المخلوقات على كثرتها، لا في الذات، ولا في الصفات، ولا في الأفعال، ولا يشبهه شيء من المخلوقين بوجه من الوجوه، ويعني هذا أن ما جاء من النصوص المتشابهة واصفة رب العزة بشيء من أوصاف المخلوقين يجب صرفه عن ظاهره، وتأويله حسب هذه الآية وما في معناها، لأن الله تعالى جعلها أصلا لغيرها في التأويل .

فدخول كاف التشبيه في قوله: ﴿كَمِثْلِهِ﴾ للمبالغة في نفي المشابهة بين الإله الخالق، وبين العبد المخلوق، فالكاف للتشبيه، ومثله أيضاً للتشبيه، واجتماعهما معاً في كلمة تعني مثل المثل، ودخول أداة النفي عليها «ليس» هي لنفي الجنس، ومثاله في

المصطلحات الدارجة عندنا؛ إذا بلغك عن إنسان اشتهر بالنزاهة والاستقامة، والسيرة الحسنة، أنه نُسب إليه عمل مشين، فتبادر أنت إلى نفي ذلك عنه، وتبرئته من التهمة التي وجهت إليه فتقول: لم يعمل هذا العمل، لكن إذا أردت أن تبالغ في نفي هذه التهمة فتقول: مثل هذا لا يعمل مثل هذه الأعمال، فقد نزهت الجنس الذي ينتمي إليه وهم أهل النزاهة، عن جنس هذه الأعمال، فهي مبالغة قوية في نفي التهمة .

كذلك جاءت هذه الآية، حيث أدخلت كاف التشبيه على لفظ المثل، ثم نفت ذلك عنه، مبالغة في نفي جنس التشبيه عن جنس المنزَّه وهو الله، فإذا نسب أحدهم لله يداً، وقال لك أنا قرأتها في كتاب الله، ستبادر أنت لنفي ذلك عن الله تعالى، وستقول: إن من كان بمرتبة الألوهية لا يصح أن يتصف بوصف البشرية، فالبشر لهم أيدي، والله تعالى هو الإله الذي يستحيل عليه أن يشترك مع غيره بوصف، فلن يصح له هذا الوصف لأنه نقص في حقه، فلفظ اليد هنا مجاز، استعار الله هذا اللفظ ويقصد معنى معينا أراده، نعرفه من سياق النص، وهكذا قل في كل وصف ننزه الله تعالى عن الاتصاف به.

ومن المحكم في الأحكام قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، بيَّنت الآية أن الوضوءَ شرطٌ لصحة الصلاة، فلا تجوز صلاة بغير وضوء، ثم بيَّنت أركان الوضوء، بشكل لا يقبل التأويل .

المتشابه:

هو الذي اشتبه «اختلط» معرفة معناه لاحتماله وجوهاً كثيرة في المعنى، يعني أن الكلمة من حيث اللغة تحتمل معاني كثيرة، فلا يصح صرف المعنى إلا بقرينة، فقوله

تعالى عن بقرة بني إسرائيل، قالوا: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٧٠]، أي اجتمع الوصف الذي طلبه الله منهم في بقر كثير، فصعب عليهم تعيين بقرة بعينها، فلم يزالوا يسألوا سيدنا موسى عن تقريب وصف البقر أكثر، فكلما زاد الوصف قلت دائرة البحث لقلة التشابه، حتى دلهم الله تعالى على وصف لم يجتمع إلا في بقرة واحدة، فذبحوها .

كذلك المتشابه من النصوص الذي دخل في تأويله معاني كثيرة، لا يصح صرف المعنى إلى واحد منها إلا بقرينة ظاهرة، وإن لم يكن هناك قرينة أولناها على ما تقتضيه اللغة حسب سياق النص، آخذين بعين الاعتبار المحكم من الآيات القرآنية، وهي التي نزهت الله تعالى عن مشابهة خلقه .

ومثال المتشابه قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، أهل التجسيم الذين لم يحسنوا الغوص في بحر معنى الآية سيقولون هو وجه على الحقيقة، مجمع الحواس، لكن الراسخين في العلم، الذين وصفهم الله تعالى بمعرفة تأويله، وأخبر باقترانهم معه في هذه المعرفة تشريفاً لهم، وبياناً لمكانتهم سيقولون: هذا اللفظ من الآيات المتشابهة التي أخبرنا الله عنها، وهي بحاجة إلى تأويل، وبعد الاطلاع على سياق الآيات نرى أن الآية جاءت في معرض الحديث عن القبلة في الصلاة، وهي رد على المعترضين على النبي ﷺ في مسألة القبلة، فقال لهم: إن الأرض بكافة أرجائها هي أرضه، فأينما أمر عباده بالتوجه فعليهم الامتثال، ولكن الله اختار لهم بيته الحرام ليكون قبلة للمؤمنين في الصلاة، فقال: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة: ١٤٤]، فمن كان في جهة المشرق يتوجه إلى جهة المغرب التي فيها الكعبة، ومن كان في المغرب توجه إلى جهة المشرق التي فيها الكعبة، لذا تبين أن لفظ الوجه هنا ليس مقصوداً لذاته، وإنما هو

قالب لفظي حمل معنى معينا، والقرينة على ذلك هو قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَه﴾ [القصص: ٨٨]، فلو كان لفظ الوجه على الحقيقة لقلنا بفناء ذات الله تعالى، لكونها شيئاً، فتأويل الوجه هنا هو ذات الله تعالى، أي كل ما سوى الله ممن دخل عالم التكوين هالك، وسيفنى في زمن عيَّنه الله تعالى، لكن ذات الله تعالى منزهة عن الفناء.

التأويل:

هو التفسير والبيان، ومنه قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، أي تفسيرها وبيانها على الوجه الذي جعلها الله عليه، فالتأويل هو استخراج المعنى الكامن في اللفظ، لأن اللغة العربية مركبة من كلام، وكل كلمة تسمى: «مبنى»، وكل واحدة من هذا المباني حوت في طيها معاني، واللفظ المتشابه حوى كثيرا من هذه المعاني فسمي متشابه، لذا صار بحاجة إلى تأويل لمعرفة هذه المعاني الكامنة.

وهؤلاء الصنف من المأوِّلين قال الله فيهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فليس بوسع كل واحد أن يصرف المعنى حسب مشيئته وهواه، فلا بد من توفر شروط العلم حتى رسخ فيه، ومن هذه الشروط:

الأول: المعرفة التامة بالنصوص المشابهة لهذا اللفظ والتوفيق بينها، ومعرفة موقعها في النص.

الثاني: أن يكون عنده علم بالناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى.

الثالث: أن يعرف مناسبة النزول، والتوفيق بين الروايات المتضاربة.

الرابع: أن يكون عنده علم بالسنة، لآنها مفسرة لكتاب الله تعالى.

الخامس: أن يكون عالماً بلسان العرب، حتى يتوصل إلى المعنى الصحيح الذي تحتمله اللغة .

السادس: اعتماد المحكم من الآيات وجعلها أصلاً معتمداً في التأويل، فإذا خالف المحكم فالتأويل باطل قطعاً .

السابع: تلقي العلم عن العلماء المعتبرين، والغوص في مسائله، حتى يشهد له أقرانه بالإبداع والتقدم .

الثامن: لزوم الأدب في التعامل مع الله تعالى، ومع النبي ﷺ ومع العلماء، لأنه إن أخذ العلم وفاته الأدب خرج من دائرة الرسوخ في العلم .

التاسع: أن لا يكون خارجاً عن مذهب أهل السنة والجماعة، وأقصد بالجماعة؛ جماعة المسلمين وهم الأشاعرة والماتريدية الذين اتبعوا مذهب التنزيه لله تعالى في العقيدة، وأتباع المذاهب الفقهية الأربعة، ومذهب السيد الجنيد في التصوف السني، فمن لم يلتزم بها جميعاً فهو بدعي، خارج عن مفهوم الجماعة .

فتأويل هذه النصوص لا يعلمه على وجه الحقيقة إلا الله تعالى، وأما الذين رسخوا في العلم حسبما قدمناه، قد يُطلعهم الله على حقيقة الأمر، فاقتران الراسخين في العلم مع الله تعالى هنا في هذه الآية دليل معرفتهم، ودليل تشريفهم.

تأويل الله تعالى:

ربما يستغرب البعض هذا العنوان، لكنه واقع، وأن الذي علّمنا التأويل هو الله سبحانه، فعلَّم الإنسان ما لم يعلم، فعند إيراده تعالى الآية الشريفة: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو

الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، أخبر أن المحكم من آي الذكر الحكيم ظاهرة المعنى، لكن المتشابه غير ظاهر المعنى، فأخبر أنه بحاجة إلى تأويل، وأن التأويل هو من علم الله تعالى، يعلمه من شاء من عباده، فأخبر أنه لا بدَّ من تأويل المتشابه عند الحاجة إليه، ولا نأخذه على ظاهره، وقد أعطانا الله تعالى مثالاً للتأويل، تأكيداً منه تعالى على ضرورته، وتعليماً لنا كيف نسلك هذا المسلك :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَاناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي »[1].

هذا حديث قدسي علَّمنا ربُّنا جلَّ شأنه من خلاله كيفية التأويل، وأن الألفاظ التي لا يصح إطلاقها على الله تعالى يجب فيها التأويل، وأن ظاهر اللفظ مستحيل على الله، وورود بهذا اللفظ من المجاز العقلي، فقوله تعالى **في اللفظ الأول**: «مرضتُ»، استغربها العبد الذي سيخاطبه الله يوم القيامة، لأن المرض نقص في المخلوقين، فكيف لا يكون نقصاً بحق الخالق تعالى، فسأل عن المقصود من هذا اللفظ، وما هو المعنى الذي كمن فيه، فأخبره تعالى: أن فلاناً مرض، ولو عدته

١ صحيح مسلم (٤/ ١٩٩٠، رقم:٢٥٦٩) .

لوجدتني عنده، وكلنا زار مريضاً فلم نجد الله تعالى عنده، لكن المقصود أن المريض يخوض في رحمة الله تعالى، حيث جعل الله المرض للعباد رحمة منه، يكفر به السيئات، ويرفع به الدرجات، والرحمة صفته، والصفة لا تفارق الموصوف، فكأن زائر المريض زائرٌ لله تعالى، لوجود رحمته تغشى هذا المريض، وهي من باب لفت النظر للعباد لفضيلة زيارة المريض، وتأنيساً للمريض نفسه أنه في رحمة الله يخوض، وكأن الله عنده لا يفارقه ما دام مريضاً.

واللفظ الثاني: «استطعمتك»، فحيث استشكلها العبد، واستعظم أن يكون الأكل من صفات الإله، جاء التأويل من الله بأن عبده فلاناً طلب منه أن يطعمه، ولو أطعمه لوجد أجر ذلك عنده تعالى في هذا اليوم الذي يكون العباد بأحوج ما يكونون فيه للحسنات، وفيه إغراء منه تعالى بالإطعام، حتى يتخلص العبد من شح نفسه، ويكون فيه المحبة بين المسلمين، وفيه ما فيه من تكافل شرائح المجتمع، وبالتالي يعود نفعه على العبد يوم القيامة.

واللفظ الثالث: «استسقيتك»، وهي بنفس معنى الإطعام .

فهذه ألفاظ أوردها النبي ﷺ عن ربه تعالى، استشكلها العبد لكونها مستحيلة على الله، فجاء العون الإلهي بتأويلها، تعليماً منه تعالى لعباده كيف يتعاملون مع هذه النصوص المتشابهة، فنبقى في جانب الأدب مع مرتبة الألوهية، ونحصن عقيدتنا التي بها نجاتنا من شوائب التجسيم، وتشبيه الله تعالى بأوصاف العبودية.

التفويض:

مصطلح لم يُسمَّ في الآية الشريفة، لكن أهل السنة فهموه ضمناً من منطوق الآية الشريفة: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ: آمنَّا بِهِ، كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾، فقد فوَّضوا معنى الآيات المتشابهات إلى الله تعالى، مؤمنين بها أنها من عند الله، لم يحملوها على

ظاهرها خوفاً من نسبة النقص إلى الله تعالى، لسان حالهم يقول: آمنا بما جاءنا من عند الله على مراد الله، وبما جاءنا من عند رسول الله على مراد رسول الله، وننزه الله تعالى عن سِمات المحدثات، وهذا المذهب هو الذي كان سائداً في زمن قرون الخيرية، ولم يظهر التأويل إلا بعد ظهور أهل البدع، فلجأ العلماء إلى التأويل تعليماً للناس، ورداً على أهل الزيغ والضلال .

التشبيه:

مصطلح محدث، أطلقه علماء الكلام على فرقة ظهرت قالت إن الله بصورة البشر، وله مثل ما للبشر من الأعضاء، حملت الآيات المتشابهات على مقتضى الحس، أخذوها على ظاهرها بدون تأويل، خالفوا بمذهبهم هذا قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾، حتى قال قائلهم: ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه، إلا اللحية والعورة، أي أنه يلتزم بوصف الله تعالى بما جاء من نصوص متشابهة، وصفت الله بما للبشر من الأوصاف؛ كالوجه، واليدين، والجنب... الخ إلا أنه ليس له لحيو ولا عورة، لعدم ورود النص بذلك .

التعطيل:

مصطلح أطلقه أهل التجسيم من الفرق المبتدعة، على أهل السنة والجماعة، القائلين بتنزيه الله عن سِمات الحادثات، حتى يُلزموا غيرهم بالقول بما قالوا به من نسبة التجسيم إلى الله تعالى، ومعنى التعطيل؛ أي أن القائلين بالتنزيه لجأوا إلى تأويل النصوص المتشابهة حتى لا يصفوا الله بشيء من صفات البشر، فقالوا: إنهم عطلوا هذه الآيات ولم يأخذوا بها، حيث صرفوها عن ظاهرها، وظاهرُها يقتضي وصف الله بما لم يصف به نفسه، أما هم فقالوا: إن هذا وصفٌ أطلقه على نفسه،

فنحن نطلقه، فوصفوه باليدين والعينين، والأضراس، واللهوات، والرأس، والشعر الطويل، والرجلين، والقدمين ...الخ وهذا كله مخالف لمنهج الله تعالى كما رأينا في باب التأويل .

آيات الصفات:

إن التسميات التوقيفية؛ أي التي جاءت تسميتها في الكتاب العزيز لا يصح العدول عنها إلى غيرها، حتى لا نطلق على الله تعالى وصفاً لم يطلقه على نفسه، فنكون من المتقولين على الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، بدأت الآية بالذنب الأخف، ثم الذنب الأكبر، حتى انتهى إلى الشرك بالله، وأكبر منه؛ التقوُّل على بما لم يقله، فهذه الآيات سماها الله تعالى: «آيات متشابهات»، فتسميتها بغير هذه التسمية لا يصح، فمن سماها بآيات الصفات فقد خالف المصطلح القرآني، وسمَّى اللهَ بما لم يُسمِّ به نفسه، وإنما أطلق هذه التسمية بعض الفرق المبتدعة الضالة كالمجسمة، حتى يصلوا إلى تحقيق مآربهم من العقائد التجسيمية، فلفظ اليد، والعين، والوجه، والجنب، والمجيء، والاستواء، وأضرابها ليست صفات لله تعالى، وإنما هي أفعال نسبها الله تعالى لنفسه تقريباً لعقول عباده حتى يفهموا عنه، لأنه لم يخاطبهم إلا بما تعقله عقولهم من الأمور الحسية، ولو خاطبهم بسواها لم يعقلوا عنه، فالأمور التي خرجت عن سلطان العقل أمرهم أن يرتقوا إلى مرتبة التصديق بها، أي الإيمان بالغيب، وهذا مما امتازت به هذه الأمة، وفضلت على غيرها من الأمم، فإذا أخبرنا الله تعالى بفعل قام به، أو سيكون في المستقبل، لا يصح أن نجعله صفة لازمة له، فالفعل لا يكون صفة، فيجب التفريق بين هذه الأفعال، والصفات التي وصف الله

بها نفسه، فالقدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، والمغفرة، والكرم، والغنى، والعفو وأضرابها، هذه صفات وصف الله بها نفسه .

وإن قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ﴾ إنما هو فعل ماضي، وهو فعل فعله بالعرش ومضى، نؤمن بأنه قال: استوى، لكن لا نجعل هذا الفعل صفةً ملازمة له، لأنه لم يصف به نفسه، وهكذا قل في جميع الأفعال، أما من قال: هي صفة فعل، أو صفات إضافية، فهي تسمية مبتدعة، لم ترد في القرآن، والأسلم في الدين أن لا نطلق على الله وصفاً لم يطلقه على نفسه .

تصحيح فهم

(أولاً) لفظ اليد:

جاء لفظ اليد منسوباً إلى الله تعالى بأكثر من آية، منها ما كان بصيغة المفرد، ومنها بصيغة المثنى، ومنها بصيغة الجمع، ومن هذه الألفاظ ما كان في معرض الإنفاق، ومنها في الخلق، وغير ذلك، فكل لفظ من هذه الألفاظ احتمل معنى معينا صرفه إليه النص الذي جاء فيه .

(اللفظ الأول) قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] .

جاءت الآية ردّاً على اليهود الذين وصفوا الله تعالى ببعض أوصافهم وهو البخل، وعبروا عن هذا الوصف بمسك اليد، أو غلها، والغل هو القيد، يُجعل في اليد يمنعها من الحركة والتصرف بما يريد، فردَّ الله تعالى عليهم بنفس الأسلوب اللغوي الذين وصفوا الله فيه، فعرض الله تعالى المقدِّمات التي ترتبت عليها النتائج، فالنتيجة هي: «الإنفاق»، والمقدمات هي وسائل هذا الإنفاق، قالت اليهود: يد الله مغلولة أي بخلاً،

فرد الله: بل يداه مبسوطتان للإنفاق، إن كان إنفاقكم مقيداً فتستعملون يداً واحدة للعطاء، فأنا إنفاقي على عبادي مطلق، أنفق بأكثر مما تتخيلون .

فالنتيجة «ينفق كيف يشاء»، وهي المراد من الآية، ومقومات الإنفاق شيئان: الكرم والغنى، فكريم ولكنه فقير لا يستطيع الإنفاق لقلة ذات اليد، وغني لكنه بخيل لا ينفق أيضاً لعدم وجود الهمة من داخله تدفعه للإنفاق، لذا لا بدَّ من الإثنين معاً، الغنى والكرم، فعبر عن الركن الأول في العطاء وهو الغنى باليد الأولى، وعبر عن الركن الثاني وهو الكرم باليد الثانية، وبهذا حصلت النتيجة التي جاءت في نهاية الآية: «ينفق كيف يشاء» .

(اللفظ الثاني) قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُون﴾ [يس: ٧١]، جاءت الآية هنا في معرض التذكير بالنعم حتى يحصل شكرها من عباده، وَاسْتُعِيرَ عَمَلُ الْأَيْدِي الَّذِي هُوَ الْمُتَعَارَفُ فِي الصُّنْعِ إِلَى إِيجَادِ أُصُولِ الْأَجْنَاسِ بِدُونِ سَابِقِ مَنْشَأٍ مِنْ تَوَالُدٍ أَوْ نَحْوِهِ، فَأُسْنِدَ ذَلِكَ إِلَى أَيْدِي اللَّهِ تَعَالَى، لِظُهُورِ أَنَّ تِلْكَ الْأُصُولَ لَمْ تَتَوَلَّدْ عَنْ سَبَبٍ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] ، فَ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: مِمَّا عَمِلَتْ ابْتِدَائِيَّةٌ، لِأَنَّ الْأَنْعَامَ الَّتِي لَهُمْ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ أُصُولٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أُصُولِهَا الْأَصْلِيَّةِ الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ الْخَلْقِ بِأَنَّهُ بِيَدِ اللَّهِ ، اسْتِعَارَةً تَمْثِيلِيَّةً لِتَقْرِيبِ شَأْنِ الْخَلْقِ الْخَفِيِّ الْبَدِيعِ، مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] . وَقَرِينَةُ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ مَا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَاتِ، فَذَلِكَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْقَطْعِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ .

(اللفظ الثالث) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، جاء لفظ اليد هنا بصيغة المفرد، كما هي الآية السابقة ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فلو كان المقصود من النص أن لله يداً

لاتفقت الآيتان على معنى واحد، لكن لما اختلف سياق الايات علمنا أن لكل لفظ معناه، فالآية الأولى جاءت معبرة عن الإنفاق، أما هنا فعبرت عن البيعة، فقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، ليس على ظاهره، بدليل القرينة وهي اليد التي مُدت للبيعة، وهي يد النبي ﷺ ، فالحقيقة قالت أن النبي ﷺ هو من بايع أصحابه في الحديبية، بقبض اليد باليد، فكانت يد النبي ﷺ مبسوطة للبيعة، ظهرها للأعلى، وبطنها جهة الأرض، وأيدي الصحابة مقابلة لها، بطونها جهة الأعلى، وظهورها جهة الأرض، فكانت يد النبي ﷺ فوق أيدي الصحابة، لكن التعبير القرآني جاء بلفظ: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، فدل على أن اللفظ مجاز، دلالة على شرف البيعة حيث نسبها الله لنفسه، وكونه هو الآمر بها، وهي للنبي ﷺ حقيقة لكونه مَن بايع.

فلفظ اليد في هذه الآيات كان مجازاً ليس على الحقيقة، بدليل القرائن التي ذكرناها، وهي من التأويل الذي علمنا الله إياه، وطلبه منا في مثل هذه المواطن.

(ثانياً) لفظ العين:

جاء لفظ العين في القرآن بصيغة المفرد، وصيغة الجمع، وسياق الآيات التي جاء فيها لفظ العين متشابه، فكان المعنى متشابها فيها، قال تعالى:

﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، الخطاب لسيدنا موسى عليه السلام، واللفظ هنا ليس على الحقيقة، لاستحالة ذلك، لأن موسى لم يُصنع على عين الله، إنما تربى ببيت فرعون، فهي إشارة إلى أن الله تعالى تكفل بموسى رغم أنه تربى ببيت فرعون، وحفظه من كل مكروه، وكان أول حفظ له عندما ألقته أمه في النيل وهو صبي رضيع، وحفظه من فرعون حيث حاول قتله مرات، وحفظه في البحر وأغرق فرعون .

وعبَّر النص القرآني بلفظ العين لأنها موضع رعاية الإنسان لها من أقل الأخطار والمؤذيات مجازا، فهي ضعيفة بحيث تمتنع من الرؤية لأقل ذرة غبار تدخل فيها،

لذلك كان لها النصيب الأكبر من الرعاية والحفظ، فكان حفظ الله لموسى أشد من حفظ أحدنا لعينه .

وَالصُّنْعُ: مُسْتَعَارٌ لِلتَّرْبِيَةِ وَالتَّنْمِيَةِ، تَشْبِيهًا لِذَلِكَ بِصُنْعِ شَيْءٍ مَصْنُوعٍ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِمَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ نِعْمَةً عَظِيمَةً: هُوَ صَنِيعَةُ فُلَانٍ ، ومنه قول النابغة الذبياني:

عَهِدْتُكَ تَرْعَانِيَ بِعَيْنٍ بَصِيرَةٍ وَتَبْعَثُ حُرَّاسًا عَلَيَّ وَنَاظِرًا

ومنه قوله تعالى لسيدنا نوح عليه السلام: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [هود: ٣٧]، أي بعناية الله وحفظه، ومن حفظ الله تعالى له ولمن معه في السفينة أنها كانت تمشي في خضمِّ البحر ولم تغرق، رغم الرياح العاتية التي سببت الأمواج العالية، والمياه الهائجة، كما وصف الله تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ [هود: ٤٢]

وقوله: ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنا﴾ [الطّور: ٤٨]، المخاطَب في هذه الآية هو سيدنا رسول الله ﷺ ، ولفظ: «بأعيننا» أي بحفظنا ورعايتنا، وكان سياق الآي القرآني تعامل الكفار مع النبي ﷺ حيث هددوه بالقتل والسجن والإخراج، وغير ذلك من أساليب الترهيب، فطمأنه الله تعالى بأنه في حفظه ورعايته، وأن الكفار الذين يتعرضون لك لن يصلوا إليك، فنحن تكفلنا بكفايتك إياهم: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر: ٩٥] .

(ثالثاً) لفظ الاستواء :

جاء لفظ استواء الله تعالى على العرش في سبع آيات، واستوى إلى السماء في آيتين، ولم يأت لفظ الاستواء على العرش إلا بعد ذكر الله تعالى خلق السماوات والأرض، وكأنه يشير إلى أن صفات الله وتصرفاته لم تظهر إلا بعد بروز خلقه، لكونهم محل

التصرفات الإلهية، فلما أكمل خلق السماء بما فيها من أجرام، وأتم خلق الأرض بما فيها من مسخرات هيأها لظهور خليفته في أرضه، ظهر ملكه وسلطانه في مملكته، فعبر عنه بالاستواء على عرش المملكة.

والقرينة في ذلك: لفظ استوى في القرآن لم يأت إلا بصفة الاعتدال والكمال، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْماً﴾ [القصص: ١٤]، أي اكتملت قوته وظهرت رجولته .

وقال تعالى: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ [الفتح: ٢٩]، أي اكتمل نموه، وظهرت ثمرته ، فجاء لفظ الاستواء في القرآن تعبيراً عن الكمال، ولم يأت ولو لفظة واحدة بمعنى الجلوس، أو الاستقرار.

(رابعاً) الإتيان والمجيء:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [البقرة: ٢١٠] ..

الإتيان هو انتقال من مكان إلى مكان، وهذا هو معناه اللغوي، لكنه قد يأتي على غير هذا المعنى مجازاً، كقوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، هذه الآية الأولى من سورة النحل، وكان جلُّ أغراضها مقارعة المشركين، الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، لزجرهم عن الشرك بالله، ومن الزجر إنذارهم بسوء فعلهم، وعاقبة كفرهم، وأن العاقبة للمؤمنين، ودولتهم وسلكانهم سيزول، ولما تكرر هذا الزجر من القرآن استبطأه المشركون، حتى ظنوا أنه غير واقع بهم، فأخذوا يستهزئون بالنبي ﷺ ومن معه، فصُدرت السورة بالوعيد، وجاء الوعيد بصيغة الماضي، والمراد به المستقبل المحقَّق الوقوع مجازاً، لذا كان الإتيان هنا مجازاً لا حقيقة، وهو كناية عن

حلول العقاب بهم، فهو على الحذف، والحذف من صيغ المجاز، وتقديره: أتى أمر الله بالعقاب لكم، فكان اللفظ واقعاً موقع التهديد والوعيد .

وقوله: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النحل: ٢٦] .

إن الله تعالى لم يأتِ حقيقة، والكلام إما أن يكون حقيقة، وإما أن يكون مجازاً، فلما انتفت الحقيقة هنا، لزم أن يكون مجازاً، فمعنى «أَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ» اسْتِعَارَةٌ بِتَشْبِيهِ الْقَاصِدِ لِلِانْتِقَامِ بِالْجَائِي نَحْوَ الْمُنْتَقَمِ مِنْهُ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: فَأَتَى اللَّهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ تَمْثِيلٌ لِحَالَاتِ اسْتِئْصَالِ الْأُمَمِ، فَالْبُنْيَانُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ، أَيِ الْمَبْنِيِّ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالْمَنَعَةِ وَعُلُوِّ الْقَدْرِ .

وَإِطْلَاقُ الْبِنَاءِ عَلَى مِثْلِ هَذَا وَارِدٌ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ ، قَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ:

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا

وَقَالَتْ سُعْدَةُ أُمُّ الْكُمَيْتِ بْنِ مَعْرُوفٍ:

بَنَى لَكَ مَعْرُوفٌ بِنَاءً هَدَمْتَهُ وَلِلشَّرَفِ الْعَادِيِّ بَانٍ وَهَادِمِ

والْقَواعِدِ: الْأُسُسُ وَالْأَسَاطِينُ الَّتِي تُجْعَلُ عُمُداً لِلْبِنَاءِ يُقَامُ عَلَيْهَا السَّقْفُ، وَهُوَ تَخْيِيلٌ أَوْ تَرْشِيحٌ، إِذْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ شَيْءٌ يُشَبَّهُ بِالْقَوَاعِدِ، فهو استعارة للاستئصال، كحال من خر عليه سقف بيته من الأعلى فمات من حينه.

ومنه قوله: ﴿فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [سُورَة الْحَشْر: ٢] .

وقوله: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾ [الإنسان: ١]، كل هذه الآيات جاء بمعناها المجازي لا بمعناها الحقيقي .

فقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[البقرة٢١٠]، هو مجاز، لأن "هل" أداة استفهام، وليس الاستفهام مراداً هنا، وإنما أراد به التقريع والتوبيخ لبني إسرائيل، مهدداً لهم بالمعاملة التي عامل بها الأمم التي خرجت عن أوامره، فسياق الآيات فيه الأمر الإلهي لبني إسرائيل بالدخول في الإسلام، وهم أولى من دخل فيه لعلمهم بنبوة النبي محمد ﷺ الموصوف عندهم في التوراة، فلما لم يأتمروا، وركبهم شيطان عنادهم، هددهم الله تعالى وقرعهم فجاءت الصورة البيانية في الآية راسمة عالَـميْن، عالم الملكوت، وهو العالم العلوي، وعالم الملك وهو عالم الشهادة، أو تقول عالم الدنيا، فتصف الآية عالم الدنيا فقالت: ما ينتظر بنو إسرائيل حتى يدخلوا في الإسلام؟ هل ينتظرون أن يأتيهم الله في موكب ملكه كما تأتي ملوك الأرض، فالملوك إذا خرجوا حفتهم الجنود، الذين يحملون الأسلحة حماية للملك، وتشريفاً له، وإظهاراً لهيبة الملك، وتحيط به آلات الركوب الفخمة، المعهودة عندهم في عصورهم، ويظهر الملك للرعية الذين خرجوا مزدانين هاتفين بحياة الملك، ملوحين له بالأعلام، ناشرين رايات الزينة في كل مكان، والملك بأبهى حلله، تزين ثيابه النياشين والأوسمة، والشارات الرفيعة، وقد فُرشت الأرض بين يديه بالبسط الحمراء، والورود والرياحين، وحرس الشرف قد اصطفوا لتحيته، ويعزف السلام الملكي، وتطلق المدفعية إحدى وعشرين طلقة، وغير ذلك من مظاهر الزينة .

ووصف العالم العلوي بصورة بيانية رائعة فقالت: وهل هذا ما ينتظره بنو إسرائيل، أينتظرون أن يأتيهم الله تعالى على عرشه، تحمله الملائكة، جبريل في

مقدمة المشيعين، وإسرافيل على الميمنة، وميكائيل على الميسرة، والملائكة تضرب بأجنحتها من حوله، فيُطل عليهم من عليائه ببهائه وجماله وكماله، تعلو وجهه السبحات، والنور يسبق كلامه، والغمام يُظله من الأعلى، فيكلمهم: يا شعبي المختار، أنتم صفوتي من عبادي، فآمنوا برسولي، فإني قد أرسلته وأنزلت معه كتاباً، وقد حان الوقت لتؤمنوا به .

هذه هي الصورة البيانية التي عبرت عنها الآية الشريفة .

فالإتيان: حضور الذات من موضع إلى موضع آخر سبق حصولها فيه، وأسند الإتيان إلى الله تعالى في هذه الآية على وجه الإثبات، فاقتضى ظاهره اتصاف الله تعالى به، ولما كان الإتيان يستلزم التنقل أو التمدد ليكون حالًّا في مكان بعد أن لم يكن به، حتى يصح الإتيان، وكان ذلك يستلزم التنقل الجسمي، والله منزه عنه بدليل المحكم من القرآن: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ١١] [الشورى]، تعين صرف اللفظ عن ظاهره بالدليل العقلي، فإن كان الكلام خبراً أو تهكما فلا حاجة للتأويل، لأن اعتقادهم ذلك مدفوع بالأدلة، وإن كان الكلام وعيداً من الله لزم التأويل، لأن الله تعالى موجود في نفس الأمر، لكنه لا يتصف بما هو من صفات الحوادث: كالتنقل، والتمدد لما علمت، فلا بد من تأويل هذا عندنا على أصل الأشعري في تأويل المتشابه، وهذا التأويل إما في معنى الإتيان، أو في إسناده إلى الله، أو بتقدير محذوف من مضاف أو مفعول، وإلى هذه الاحتمالات ترجع الوجوه التي ذكرها المفسرون:

الوجه الأول: ذهب سلف الأمة قبل حدوث تشكيكات الملاحدة، إلى إقرار الآيات المتشابهة دون تأويل، فالإتيان ثابت لله تعالى، لكن بلا كيف، فهو من المتشابه؛ كالاستواء، والنزول، والرؤية، أي هو إتيان لا كإتيان الحوادث، فأما على طريقة الخلف من أئمة الأشعرية لدفع مطاعن الملاحدة فتجيء وجوه منها:

الوجه الثاني: يجوز تأويل إتيان الله بأنه مجاز في التجلي والاعتناء، إذا كان الضمير راجعاً لمن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، أو بأنه مجاز في تعلق القدرة التنجيزي بإظهار الجزاء إن كان الضمير راجعا للفريقين، أو هو مجاز في الاستئصال، يقال: أتاهم الملك إذا عاقبهم . قاله القرطبي .

قلت: [القول لابن عاشور] وذلك في كل إتيان مضاف إلى منتقم، أو عدو، أو فاتح كما تقول: أتاهم السبع، بمعنى أهلكهم، وأتاهم الوباء، ولذلك يقولون: أتى عليه بمعنى أهلكه واستأصله، فلما شاع ذلك، شاع إطلاق الإتيان على لازمه، وهو الإهلاك والاستئصال، قال تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر:٢] وقال: ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل:٢٦] وليس قوله: ﴿فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ بمُنافٍ لهذا المعنى، لأن ظهور أمر الله، وحدوث تعلق قدرته، يكون محفوفاً بذلك، لتشعر به الملائكة .

الوجه الثالث: إسناد الإتيان إلى الله تعالى إسناد مجازي، وإنما يأتيهم عذاب الله يوم القيامة أو في الدنيا، وكونه في ظلل من الغمام، زيادة تنويه بذلك المظهر، ووقعه لدى الناظرين .

الوجه الرابع: يأتيهم كلام الله الدال على الأمر، ويكون ذلك الكلام مسموعا من قبل ظلل من الغمام تحفه الملائكة .

الوجه الخامس: أن هنالك مضافاً مقدَّراً أي: يأتيهم أمر الله، أي: قضاؤه بين الخلق، أو يأتيهم بأس الله بدليل نظائره في القرآن: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل:١] ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] وقوله: [فَجَاءَهَا بأْسُنَا بَيَاتاً﴾ [الأعراف:٤] ولا يخفى أن الإتيان في هذا يتعين أن يكون مجازاً في ظهور الأمر .

(خامساً) الحلول:

أي حلول الله تعالى في الأماكن، ويعبر عنه بـ "في" كقوله: الله في السماء، مستدلين بآيات منها قوله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦] . فالذي يخسف حسبما يعتقدون هو الله، وقد صرحت الآية أنه في السماء، فقالوا: إن الله في السماء .

قلت: من المعلوم أن الله تعالى لا يباشر العذاب بنفسه بل يأمر الملائكة بذلك، فخسْفُ قريةٍ لا يكون إلا بأمر الله، بل إن روح عبدٍ واحد لا تُقبض إلا بأمره تعالى، فكيف بخسف قرية أو قرى؟! لذلك فإن الفاعل والمباشر للخسف هم الملائكة والآمر به هو الله، بدليل قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (٣٣) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [الذاريات]، فنسبة الفعل إلى الله تعالى مجاز لكونه الآمر، وللملائكة حقيقة لكونهم من قام بالفعل، والمتتبع لآيات العذاب في القرآن يجد الآمر بالعذاب هو الله تعالى، والملائكة هم من يقع عليهم تنفيذ الأمر، وهم محل الفعل وأداته، والشواهد على هذا من القرآن كثير منها:

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ(٣١)﴾ (القمر) ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ (٣٣) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ (٣٤)﴾ (القمر) .

يقول المجسمة: القول بأن الذي في السماء هو عذاب الله باطل من وجوه:

أولها: إن (مَن) اسم موصول للعاقل، وعذاب الله غير عاقل، ولذا يصبح المعنى:

أأمنتم الذي في السماء، ولو كان المقصود هو العذاب لاستعمل اسم الموصول (ما) بدلاً من (مَن).

قلت: هذا الكلام مردود لغةً لأن اسم الموصول (مَن) يستعمل للعاقل ولغير العاقل، ولكنه يأتي غالباً للعاقل، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (النور:٤٥) فمِن الذي يمشي على بطنه الزواحف كالحيات وما شابهها وهي غير عاقلة، ومِن الذي يمشي على رجلين الطيور والإنسان، ومن الذي يمشي على أربع الأنعام والوحوش وهذه الأصناف غير عاقلة وقد جاء الاسم الموصول (مَن) بدلاً مِن (ما) وانظر قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (النحل: ٤٩) فالذين يسجدون لله تعالى في السماوات هم الملائكة وهم عقلاء، وجاء اسم الموصول (ما).

لذلك جاء في الآية ﴿مَن في السماء﴾ أي: أأمنتم الملائكة الذين في السماء المباشرين للعذاب أن يخسفَ بكم... وأما قول المجسم: إن الملائكة تستعمل للجمع وفاعل (يخسف) مفرد فهذا تناقض غير صحيح، لأنه يجوز في لغة العرب أن يأتي الفاعل مفرداً وفعله مفرد وجمع، ودليل ذلك من القرآن قوله تعالى:

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة:٢٠١) فالفعل (يقول) جاء بصيغة المفرد، والفاعل جاء بصيغة الجمع بدليل كلمة (وقنا) وهي ضمير المتكلم (نحن) .
- ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً﴾ (النساء:٥٥) والفعلان (آمن، صدّ) جاءا بصيغة المفرد، والفاعل جمع.

- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْك﴾ (الأنعام: ٢٥) والفعل هـــ نا جاء بصيغة المفرد وفاعله جمع .
- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ (التوبة:٥٨) وهذا أيضاً كالذي سبق.
- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَـــدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (التوبة:٧٥).
- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ (يونس:٤٣).
- ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: ٦٠) وانظر هنا الأفعال (لعن وغضب وجعل وعبد) جاءت مفردة ولكن الملعونين والمغضوب عليهم والذين جعل الله منهم القردة والخنازير وعبّاد الطاغوت كُثُر.

لذلك جاء الفعل في هذه الآية التي استشهد بها المجسّم بصيغة المفرد والفاعل جمع، والشاهد على ذلك ما رأيناه من هذه الآيات السابقة.

إن قول المجسمة بأن المقصود من الآية (مَن في السماء) هو الله مصرح بالحلول، أي أن الله حالٌّ في السماء، وهذه هي عقيدة اليهود التي ينادي بها المجسمة وينافحون عنها، فقد جاء في التوراة سفر المزامير، المزمور ٢/١١٥:

"لماذا يقول الأمم أين هو إلههم إن إلهنا في السماء، كلما شاء صنع" وهذا هو الحلول بعينه .

مجمل عقيدة الوَهابيَّة

يزعم الوَهابيَّة بأنهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وسأنقل نصاً لأحد فضلاء الحنابلة وهو الحافظ ابن الجوزي من مقدمة كتابه: «دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه»، لأستشهد به على مجمل عقيدتهم، بشهادة رجل منهم، قال: "ورأيت من أصحابنا من تكلم في الأصول بما لا يصلح ، وانتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبد الله بن حامد، وصاحبه القاضي، وابن الزاغوني، فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام ، فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله تعالى خلق آدم على صورته ، فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات ، وعينين وفما ولهوات وأضراسا، وأضواء لوجهه هي السبحات، ويدين وأصابع وكفاً وخنصراً وإبهاماً وصدراً وفخذاً وساقين ورجلين، وقالوا : ما سمعنا بذكر الرأس ، وقالوا : يجوز أن يَمس ويُمس، ويُدني العبد من ذاته، وقال بعضهم : ويتنفس، ثم يُرضون العوام بقولهم : لا كما يُعقل، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات ، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى، ولا إلى إلغاء ما يوجبه الظاهر من سمات الحدوث ، ولم يقنعوا بأن يقولوا صفة فعل ، حتى قالوا صفة ذات ، ثم لما أثبتوا أنها صفات ذات قالوا: لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة ، ومجئ وإتيان على معنى بر ولطف، وساق على شدة ، بل قالوا: نحملها على ظواهرها المتعارفة والظاهر؛ هو المعهود من نعوت الآدميين، والشئ إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن ، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون: نحن أهل السنة، وكلامهم صريح في التشبيه، وقد تبعهم خلق من العوام ، فقد

نصحت التابع والمتبوع، فقلت لهم : يا أصحابنا، أنتم أصحاب نقل، وإمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول وهو تحت السياط: " كيف أقول ما لم يُقل " ، فإياكم أن تبتدعوا في مذهبه ما ليس منه ، ثم قلتم في الأحاديث، تحمل على ظاهرها، وظاهر القدم الجارحة ، فإنه لما قيل في عيسى روح الله، اعتقدت النصارى أن لله صفة هي روح ولجت في مريم، ومن قال: استوى بذاته فقد أجراه مجرى الحسيات ، وينبغى أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل ، فإنا به عرفنا الله تعالى ، وحكمنا له بالقِدَم ، فلو أنكم قلتم : نقرأ الأحاديث ونسكت ، ما أنكر عليكم أحد ، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح ، فلا تُدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، ولقد كسيتم هذا المذهب شيناً قبيحاً حتى صار لا يُقال حنبلي إلا مجسم ، ثم زينتم مذهبكم أيضا بالعصبية ليزيد بن معاوية، ولقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته، وقد كان أبو محمد التميمي يقول في بعض أئمتكم : لقد شان المذهب شيناً قبيحاً لا يُغسل إلى يوم القيامة . انتهى كلام ابن الجوزي

خطر الوَهابيَّة

الوَهابيَّة؛ فرقة محدثة في الإسلام، أنشأها محمد بن عبد الوهاب النجدي المولود في الدرعية سنة (١١١١) هـ، اتخذت من تجسيمات ابن تيمية منهجاً لها، وحملوا لواء النصب والعداء لآل البيت النبوي، عقيدتهم تجسيم الله تعالى، بأخذ ظواهر النصوص المتشابهة، وديدنهم تكفير المسلمين جميعهم على اختلاف مشاربهم، إلا من اعتقد عقيدتهم، فحاربوهم وقتلوهم في المساجد، وخرجوا على إمام المسلمين المبايع له شرعاً، فسماهم البعض بالخوارج، ومنهم من قال بأنهم صنيعة الاستعمار البريطاني، زرعهم في بلاد المسلمين ليضربوا الخلافة الإسلامية باسم الإسلام، وهو كذلك، وقد استوفيت هذا الموضوع في كتابي: «الحركة الوَهابيَّة صنيعة الأيدي

الخفية»، وقد وصفهم أبو بكر بن العربي قبل وجودهم، وذلك بوصف أئمتهم وسلفهم في هذا الشأن فقال:

قال أبو بكر بن العربي:

(قاصمة): وقد بيَّنا في غير موضع أن الكائدين للإسلام كثير، والمقصرون فيه كثير، وأولياؤه المشتغلون به قليل، فممن كاده الباطنية، وقد بيَّـنا جملة أحوالهم، وممن كاده الظاهرية، وهم طائفتان:

إحداهما: المتبعون للظاهر في العقائد والأصول .

الثانية: المتبعون للظاهر في الأصول، وكلا الطائفتين في الأصل خبيثة، وما تفرغ عنهما خبيث مثلهما، فالولد من غير نكاح لغيَّة، والحية لا تلد إلا حية، وهذه الطائفة الآخذة بالظاهر في العقائد، هي في طرف التشبيه، كالأولى في التعطيل، وقد بليت بهم في رحلتي، وتعرضوا لي كثيراً دون بغيتي، وأكثر ما شاهدتهم بمصر والشام وبغداد، يقولون: إن الله تعالى أعلم بنفسه وصفاته، وبمخلوقاته منا، وهو معلِّمنا، فإذا أخبرَنا بأمره آمنا به كما أخبر، واعتقدناه كما أمر .

وقالوا حين سمعوا: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، ﴿ { فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: ٢٦]، «وينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا»، أنه يتحرك وينتقل، ويجيء ويذهب من موضع إلى موضع، ولما سمعوا قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، قالوا: إنه جالس عليه، متصل به، وأنه أكبر بأربع أصابع، إذ لا يصح أن يكون أصغر منه، لأنه العظيم، ولا يكون مثله، لأنه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فهو أكبر من العرش بأربع أصابع .

ولقد أخبرني جماعة من أهل السنة بمدينة السلام ، أنه ورد بها الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، الصوفي، من نيسابور ، فعقد مجلساً للذكر، وحضر فيه كافة الخلق، وقرأ القارئ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قال لي أخصهم: فرأيت - يعني الحنابلة - يقومون في أثناء المجلس ويقولون: قاعد، قاعد بأرفع صوت، وأبعده مدى ، وثار إليهم أهل السنة من أصحاب القشيري، ومن أهل الحضرة، وتثاور الفئتان، وغلبت العامة، فأجحروهم المدرسة النظامية، وحصروهم فيها، فرموهم بالنشاب، فمات منهم قوم، وركب زعيم الكفاة، وبعض الدارية، فسكنوا ثورتهم، وأطفوا نورتهم، وقالوا: إنه يتكلم بحرف وصوت، وعزوه إلى أحمد بن حنبل، وتعدى بهم الباطل، إلى أن يقولوا: إن الحروف قديمة، وقالوا: إنه ذو يد، وأصابع، وساعد وذراع، وخاصرة، وساق، ورجل، يطأ بها حيث شاء، وأنه يضحك ويمشي ويهرول، وأخبرني من أثق به من مشيختي أن أبا يعلى محمد بن الحسين الفراء رئيس الحنابلة ببغداد، كان يقول إذا ذكر الله تعالى، وما ورد من هذه الظواهر في صفاته، يقول: ألزموني ما شئتم فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة، وانتهى بهم القول إلى أن يقولوا: إن أراد أحد أن يعلم الله، فلينظر إلى نفسه فإنه الله بعينه، إلا أن الله منزه عن الآفات قديم لا أول له، دائم لا يفنى، لقول النبي ﷺ «إن الله خلق آدم على صورته» وفي رواية: «على صورة الرحمن» وهي صحيحة، فلله الوجه بعينه لا ننفيه ، ولا نتأوله إلا محالات لا يرضى بها ذو نهى.

وكان رأس هذه الطائفة بالشام أبو الفرج الحنبلي بدمشق، وابن الرميلي المحدِّث ببيت المقدس، والقطرواني بنواحي نابلس، والفاخوري بديار مصر، ولحقت منهم ببغداد أبا الحسين بن أبي يعلى الفراء ، وكل منهم ذو أتباع من العوام، جمعاً غفيراً ، عُصبةٌ عَصيَّة عن الحق، وعصبية على الخلق، ولو كانت لهم أفهام، ورزقوا معرفة

بدين الإسلام، لكان لهم من أنفسهم وازع، لظهور التهافت على مقالاتهم، وعموم البطلان لكلماتهم. ولكن الفدامة استولت عليهم، فليس لهم قلوب يعقلون بها، ولا أعين يبصرون بها، ولا آذان يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل .

ولقد أخبرني غير واحد عن أبي حامد أحمد بن أبي طاهر الاسفراييني أنه خرج يوماً على أصحابه مسروراً فسألوه، فقال: ناظرت اليوم عامياً فظهرت عليه، فقيل له: وأنت تظهر على الأيمة، فكيف تفرح بالظهور على العوام؟ فقال: العالم يرده علمه، وعقله، ودينه، والعامي لا يرده فهم، ولا يردعه دين، فغلبته نهزة ونادرة [٢].

السَّلفيَّة والوَهابيَّة

هما اسمان لطائفة واحدة؛

أما السَّلفيَّة: فيطلقونه انتساباً لما سلفهم من علماء المجسمة، لا يقصدون بهم علماء آل البيت مثلاً، أو علماء الصوفية، وإنما يقصدون بهم: كعب الأحبار، وهب بن منبه، مقاتل بن سليمان، نعيم بن حماد، حماد بن سلمة، الدارمي (غير صاحب السنن) محمد بن كرام السجستاني، أبو يعلى الحنبلي، ابن خزيمة، داود الجواربي، هشام بن سالم الجواليقي، البربهاري، ابن بطة العكبري، الهروي، الجوزجاني، ابن تيمية، ابن القيم، وترى المجسمة المتأخرين ينقلون عن هؤلاء المتقدمين .

وأما الوَهابيَّة: فنسبة إلى محمد عبد الوهاب النجدي، مؤسس الدولة الوَهابيَّة الأولى سنة (١١٥٣)هـ، وهي التي قضى عليها محمد علي باشا، والي العثمانيين على مصر، ثم

٢ النص الكامل لكتاب العواصم من القواصم (ص: ٢٠٨) .

الدولة الوَهابيَّة الثانية، وقامت بعد موت ابن عبد الوهاب، ولم تدم طويلا، لأن بريطانيا التي جندتهم كانت مشغولة في حربها مع العثمانيين، ثم جاء أحفاده وأنشأوا الدولة الوَهابيَّة الحالية .

أئمة المجسِّمة

وهم سلف الوَهابيَّة الذين ينتسبون إليهم، وحتى نتعرف على عقيدة الوَهابيَّة اليوم، ينبغي أن نطلع على سير أسلافهم الذين ينتمون إليهم وأولهم:

كعب الأحبار:

كعب بن ماتع الحِميَري، يكنى أبا إسحق، ولد في بيت يهودي من يهود اليمن، حِميَري بالحلف، اسمه عبري محرف إلى العربية، فكعب اسم منتشر بين يهود شبه الجزيرة العربية، وهو تحريف للاسم العبري «عقيب» وماتع اسم غير عربي على الإطلاق، أسلم في خلافة عمر، كان عالماً بالإسرائيليات كاتباً، وهو من أشهر اليهود الذين أسلموا، ورواياته وتفسيراته لبعض الآيات وقصص الأنبياء والأقدمين هي مصدر روايات كثيرة للصحابة والتابعين كان له معارضون من الصحابة، أو من الإخباريين الذين اتهموه بمحاولة إقحام يهوديته في الإسلام، كان خبيرا بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة .

كان مُعَاوِيَةُ، يُحَدِّثُ رَهْطا مِنْ قُرَيْشٍ بِالْمَدِينَةِ، وَذَكَرَ كَعْبَ الأَحْبَارِ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ مِنْ أَصْدَقِ هَؤُلاَءِ المُحَدِّثِينَ الَّذِينَ يُحَدِّثُونَ عَنْ أَهْلِ الكِتَابِ، وَإِنْ كُنَّا مَعَ ذَلِكَ لَنَبْلُو عَلَيْهِ الكَذِبَ» [٣] .

٣ صحيح البخاري (٩/ ١١٠) .

أَسْلَمَ فِي زَمَنِ عُمَرَ وَكَانَ يَنْقُلُ شَيْئًا عَنْ كُتُبِ أَهْلِ الْكِتَابِ ، فَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَسْتَحْسِنُ بَعْضَ مَا يَنْقُلُهُ، لِمَا يُصَدِّقُهُ مِنَ الْحَقِّ ، وَتَأْلِيفاً لِقَلْبِهِ فَتَوَسَّعَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ فِي أَخْذِ مَا عِنْدَهُ ، وَبَالَغَ أَيْضاً هُوَ فِي نَقْلِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَثِيرٌ مِنْهَا مَا يُسَاوِي مِدَادَهُ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ بَاطِلٌ لَا مَحَالَةَ ، وَمِنْهَا مَا هُوَ صَحِيحٌ لِمَا يَشْهَدُ لَهُ الْحَقُّ الَّذِي بِأَيْدِينَا [٤] .

وكعب الأحبار هو أول من أدخل الإسرائيليات إلى الإسلام، فقد أسلم في خلافة عمر، وكان كثير من الصحابة يتوقون إلى معرفة أخبار بني إسرائيل، فكانوا يسألونه ويجلسون إليه ويحدثهم عن الكتب الإسرائيلية [٥] .

والخطأ الذي حصل هو أن بعض من كان يجالس كعب الأحبار ويسمع منه كان يخلط بين كلام كعب، وبين الحديث النبوي، فقد أخرج مسلم عن بسر بن سعيد قال: «اتَّقوا الله وتحفظوا من الحَدِيث فوَاللَّه لقد رَأَيْتنَا نجالس أَبَا هُرَيْرَة فَيحدث عَن رَسُول الله ﷺ ويحدثنا عن كعب، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله عن كعب، وَحَدِيث كَعْب عَن رَسُول الله ﷺ »[٦] مما اضطر سيدنا عمر رضي الله عنه أن يمنع كعباً وأبا هريرة من الحديث مخافة اختلاط الحديث النبوي بالإسرائيليات .

٤ البداية والنهاية (٣/٣٦) .

٥ سير أعلام النبلاء (٤/٤٧٢) .

٦ التمييز لمسلم (ص: ١٧٥) .

أخرج أبو زرعة عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: لَتَتْرُكَنَّ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أو لألحقنك بِأَرضِ دَوْسٍ. وَقَالَ لِكَعْبٍ: لَتَتْرُكَنَّ الْأَحَادِيثَ، أَوْ لَأُلْحِقَنَّكَ بِأَرْضِ الْقِرَدَةِ [٧] .

ذكر الذهبي عَن كَعْب الْأَحْبَار قَالَ: قَالَ الله عزوجل فِي التَّوْرَاة: أَنا الله فَوق عبَادي، وعرشي فَوق جَمِيع خلقي، وَأَنا على عَرْشِي أدبر أُمُور عبَادي، وَلَا يخفى عَليّ شَيْء فِي السَّمَاء وَلَا فِي الأَرْض [٨] . قال الذهبي: رُوَاته ثِقَات

وروى أبو الشيخ أن رجلاً أَتَى كَعْباً وَهُوَ فِي نَفَرٍ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ، حَدِّثْنِي عَنِ الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَأَعْظَمَ الْقَوْمُ، فَقَالَ كَعْبٌ: «دَعُوا الرَّجُلَ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ جَاهِلًا لَتَعَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ عَالِماً ازْدَادَ عِلْماً» ، ثُمَّ قَالَ كَعْبٌ: «أُخْبِرُكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ، وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ، ثُمَّ جَعَلَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا بَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالْأَرْضِ، وَجَعَلَ كِثْفَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ رَفَعَ الْعَرْشَ فَاسْتَوَى عَلَيْهِ، فَمَا مِنَ السَّمَاوَاتِ سَمَاءٌ إِلَّا لَهَا أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ الْعِلَافِيِّ أَوَّلَ مَا يُرْتَحَلُ مِنْ ثِقَلِ الْجَبَّارِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَهُنَّ» [٩] .

قلت: هذه الآثار هي من الأصول التي بنى عليها المجسمة من الحنابلة أقوالهم في التجسيم، وقولهم بأن الله تعالى جالس على العرش، وسيُجلس معه نبيه محمداً ﷺ رواهما كعب الأحبار.

وهب بن مُنبِّه:

٧ تاريخ أبي زرعة الدمشقي (ص: ٥٤٤).

٨ العلو للعلي الغفار (ص: ١٢١ن رقم:٣١٥).

٩ العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٦١١).

بن كامل بن سيج بن ذي كبار ، تابعي له معرفة بكتب الأوائل، وإخباري قصصي، يُعد أقدم مَن كتب في الإسلام، كان ممن قرأ الكُتب، غَزارة علمه في الإسرائيليات، ومن صَحائف أهل الكتاب ، اهتم بأخبار العرب في الجاهلية، وروى أخبار غير العرب التي استقاها من الكتب المقدسة، ويغلب على أخباره طابع القصص الشعبي الخرافي؛ لذلك يوصف بأنه "مؤرخ إخباري وعالم بأساطير الأولين، أكثر ما يُروى عن وهب إنما هو حِكَم ومواعظ، وكانت غزارة علمه في الإسرائيليات، وصحف أهل الكتاب .

من مروياته خرافة الهيكل اليهودية: روى عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ مَعْقِلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْباً يَقُولُ، وَذَكَرَ مِنْ عَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: «إِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْبِحَارَ لَفِي الْهَيْكَلِ وَأَنَّ الْهَيْكَلَ لَفِي الْكُرْسِيِّ، وَإِنَّ قَدَمَيْهِ لَعَلَى الْكُرْسِيِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ الْكُرْسِيَّ، وَقَدْ عَادَ الْكُرْسِيُّ كَالنَّعْلِ فِي قَدَمَيْهِ» .

وَسُئِلَ وَهْبٌ: مَا الْهَيْكَلُ؟ فَقَالَ: شَيْءٌ مِنْ أَطْرَافِ السَّمَاءِ مُحَدَّقٌ بِالْأَرَضِينَ، وَالْبِحَارُ كَأَطْنَابِ الْفُسْطَاطِ (الخيمة) وَسُئِلَ وَهْبٌ عَنِ الْأَرَضِينَ كَيْفَ هِيَ؟ قَالَ: «هِيَ سَبْعُ أَرَضِينَ مُمَهَّدَةٌ بَيْنَ كُلِّ أَرَضِينَ بَحْرٌ وَالْبَحْرُ الْأَخْضَرُ مُحِيطٌ بِذَلِكَ، وَالْهَيْكَلُ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ» [١٠] .

مقاتل بن سليمان:

بن بشير الأزدي البلخي، انتقل إلى البصرة، ودخل بغداد فحدث بها، كان متروكا، أي كان متروك الحديث لكونه كان يضع الأحاديث في التجسيم، نُسب إليه أنه من

١٠ السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٧٧) .

المشبهة، وذكروا أنه هو الذي قال فيه الإمام أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه [١١] .

قال فيه البخاري: لا شيء البتة [١٢] .

قال الأشعري في معرض كلامه عن التجسيم: قالت الفرقة الأولى منهم وهم أصحاب مقاتل بن سليمان: أن الله جسم، وأن له جمة، وأنه على صورة الإنسان لحم ودم وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس وعينين، مصمت[١٣]، وهو مع هذا لا يشبه غيره ولا يشبهه [١٤] .

قال الذهبي: أجمعوا [العلماء] على تركه [١٥] .

ومن مروياته في التجسيم القول بأن المقام المحمود للنبي ﷺ هو جلوسه على العرش، روى الخلال عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «يُقْعِدُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ»، وعَنْه فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودا﴾ [الإسراء: ٧٩] قَالَ: «يُقْعِدُهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ»، قَالَ: فَمَنْ رَدَّ حَدِيثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ سَلَّامٍ وَحَدِيثَ مُجَاهِدٍ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، فَقَدْ أَزْرَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَرَدَّ فَضْلَهُ، وَكَانَ عِنْدَنَا مُبْتَدِعا [١٦] .

نُعيم بن حماد:

١١ تبييض الصحيفة في مناقب أبي حنيفة، للسيوطي، دار الأرقم، بيروت، (ص:١١٨) .

١٢ التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل (٨/ ١٤رقم الترجمة:١٩٧٦) .

١٣ مصمت: أي جسم صلب .

١٤ مقالات الإسلاميين ت ريتر (ص: ١٥٢) . ومعنى مصمت: أي جسم صلب .

١٥ سير أعلام النبلاء ط الحديث (٦/ ٦٠٢) .

١٦ السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢١٦)، (١/ ٢٥٨) .

بن معاوية بن الحارث، الخزاعي (ت:٢٢٨)هـ محدث، ولد في مرو، وأقام مدة في العراق والحجاز يطلب الحديث، ثم سكن مصر، ولم يزل فيها إلى أن حمل إلى العراق في خلافة المعتصم، وامتحن بخلق القرآن، فلم يجب وقيد، ومات في الحبس، وهو من شيوخ البخاري .

قال ابن عدي: كَانَ يضع الحديث فِي تقوية السنة وحكايات عن العلماء فِي ثلب أبي حنيفة مزورة كذب . انظر: الكامل في الضعفاء (٢٥١/٨) .

قال أبو يَحْيي: سَمِعْتُ أَحْمَد ويحيي يقولان: نعيم بْن حَمَّاد معروف بالطلب ثُمَّ ذمه يَحْيي فَقَالَ إنه يروى عن غير الثقات، وسمعت أَبَا عَرُوبة يَقُول: كَانَ نعيم بن حماد مظلم الأمر .

قال السيوطي في حديث «إذا أراد الله أن ينزل إلى السماء الدنيا نزل عن عرشه بذاته»: أتعبَنا نعيمُ بن حماد مِن كثرة ما يأتي بهذه الطامّات، وكم ندرأ عنه [١٧] .

قال المزي:كَانَ يضع الحديث فِي تقوية السنة، وحكايات عن العلماء فِي ثلب أبي حنيفة كذب[١٨].

قلت: والقصد من قوله: «السنة» أي الأحاديث المنسوبة للنبي ﷺ في صفات الرب تعالى، كنسبة الأعضاء والجسم والحركة وغيرها .

قال الكوثري: نعيم بن حماد معروف باختلاق مثالب ضد أبي حنيفة، وكلام أهل الجرح فيه واسع الذيل، وذكره غير واحد من كبار علماء أصول الدين في عداد

١٧ الزيادات على الموضوعات (١/ ٣٦) حديث رقم: (٣) .

١٨ تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٩/ ٤٧٦) .

المجسمة، بل القائلين باللحم والدم، وكان ربيب ابن أبي مريم، وكلام أهل الجرح فيه معلوم، وهو أيضاً كان ربيب مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة[١٩] .

محمد بن كرَّام السجستاني:

ساقط الحديث على بدعته، أكثر عن أَحمد الجويباري، ومحمد بن تميم السعدي، وكانا كذابين .

قال ابن حبان: خُذل حتى التقط من المذاهب أرداها، ومن الأحاديث أوهاها

وقال أَبو العباس السراج: شهدت البُخاري، ودفع إليه كتاب من ابن كرام يسأله عن أحاديث، منها: الزهري، عن سالم، عن أبيه، مرفوعا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فكتب أَبو عَبد الله على ظهر كتابه: من حدث بهذا استوجب الضرب الشديد، والحبس الطويل .

وقال ابن حبان: جعل ابن كرام الإيمان قولا بلا معرفة .

وقال ابن حزم: قال ابن كرام، الإيمان قول باللسان، وإن اعتقد الكفر بقلبه فهو مؤمن .

قلت: هذا منافق محض، في الدرك الأسفل من النار قطعا، فأيش ينفع ابن كرام أن يسميه مؤمنا، ومن بدع الكرامية قولهم في المعبود تعالى: إنه جسم لا كالأجسام [٢٠]

وقال عنه في تاريخه: (٤٩٢): محمد بْن كرّام بْن عِرَاق بْن حُزَابَة بْن البَرَاء توفي في القدس (٢٥١) الضال المجسم، شيخ الكراميين .

١٩ تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب، محمد زاهد الكوثري، المتوفى (١٣٧١هـ)، الطبعة الجديدة (١٤١٠هـ/١٩٩٠م) .

٢٠ ميزان الاعتدال للذهبي - الرسالة (٤/ ٢٥٢) .

قَالَ الحاكم: وُلِد بقريَةٍ من قرى زرنج بسِجسْتان، ثمّ دخل خراسان وأكثر الَاختلَاف إلى أحمد بن حرب الزاهد، وأكثر عَنْ أَحْمَد الْجُويْبَاريّ، ومحمد بْن تميم الفاريابيّ، ولو عرفهما لأمسكَ عَنِ الرّواية عَنْهُمَا. حبسه محمد بْن عَبْد اللَّه بْن طاهر، وطالت مِحْنَتُه، فكان يغتسل كلّ يوم جمعة، ويتأهَّب للخروج إلى الجامع، ثمّ يَقُولُ للسّجان: أتأْذَنُ ليَ فِي الخروج؟ فيقول: لَا. فيقول: اللّهمّ إنيّ بذلت مجهودي، والمَنْعُ مِن غيري .

قال عثمان الدّارِميّ: حضرت مجلس أمير سجِسْتان إِبْرَاهِيم بْن الحُصَيْن يوم أُخرج محمد بْن كَرّام من سجِسْتان، وحضر عثمان بْن عفّان السِّجِسْتانيّ وأهل العلم، فدُعي محمد بْن كَرّام، فقال لَهُ الأمير: ما هذا العلم الذي جئت به؟ ممن تعلمته ومَن جالست؟ قَالَ: إلْحَامٌ أَلْحَمْنيه اللَّه تعالى، بالحاء . [يقصد إلهام ألهمنيه] .

فقال لَهُ: هَلْ تُحْسِن التشهد؟ قَالَ: نعم، الطحيات للَّه؛ بالطّاء، حتى بلغ إلى قوله: السّلَام عليك أيُّها النَّبِيّ، فأشار إلى إِبْرَاهِيم بْن الحُصَين، فقال لَهُ: قطع اللَّه يدك ، وأمرَ بِهِ فصُفِع وأُخْرج .

قال ابن حِبّان: جالس الْجُويْبَاريّ، ومحمد بْن تميم السَّعْديّ، ولعلّهما قد وضعا عَلَى النَّبِيّ ﷺ والصّحابة والتابعين مائة ألف حديث .

قال عثمان بْن سعَيِد الدّارِميّ: كنتُ عند إِبْرَاهِيم بْن الحُصَين، إذ دخل علينا رجلٌ طُوالٌ عَلَيْهِ رقاع، فقيل: هذا ابن كَرّام، فقال لَهُ إِبْرَاهِيم: هَلِ اختلفت إلى أحدٍ من العلماء؟ قال: لا. قال: تأتي عثمان بْن عفّان السِّجِسْتانيّ؟ قَالَ: لَا.

قَالَ: فهذا العلم الَّذِي تقوله، من أَيْنَ لك؟ قَالَ: هذا نورٌ جعله اللَّه فِي بطني.

قَالَ: تُحْسِن التَّشَهُّد؟ قَالَ: نعم، التَّهيّاتُ لله والصَّلَوات والتَّيِّبات ، السّلَام أَلَيْنا وأَلَى إبادِ اللَّه الصالحين، أَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أن مُهَمَّداً أَبْدُكَ ورسُولُك قَالَ: قُمْ، لَعَنَك الله. ونفاه من سجستان .

الدارمي (ت:٢٨٠هـ):

أَبُو سعيد عُثْمَان بن سعيد التَّمِيمِي الدَّارِميّ نسبة إلى دارم بن مَالك بن حَنْظَلَة بطن كَبِير من تَمِيم، ينْسب إِلَيْهِ خلق كثير من الْعلمَاء وَالشعرَاء والفرسان [٢١] ، السجسْتانِي، نِسْبَة إِلَى سجستان الْبِلَاد الْمَعْرُوفَة، وَيُقَال فِي النِّسْبَة إِلَيْهَا: السجْزِي على غير قِيَاس [٢٢] . وهو غير الدارمي صاحب السنن.

رأس في التجسيم، كان معظماً عند شيعته أمثال الذهبي قبل توبته عن مذهب التجسيم، وابن تيمية وابن القيم، والوَهابيَّة اليوم، وكان ابْن تَيْمِية يُوصي بِكتابيه: النَّقْض على بشر المريسي، وَالرَّدّ عَليّ الْجَهْمِية أَشد الْوَصِيَّة، ويعظمهما جدّاً، قال: فيهَما من تَقْرِير التَّوْحِيد والأسماء وَالصِّفَات بِالْعقلِ وَالنَّقْل مَا لَيْسَ فِي غَيرهمَا .

ونقل من هَذَا الْكتاب الصفحات فِي مؤلفات وردوده، كَمَا فِي كِتَابه: اجْتِمَاع الْعقل، وَالنَّقْل، وكما نقل عَنهُ ابْن الْقيم فِي كِتَابه: اجْتِمَاع الجيوش الإسلامية على غَزْو المعطلة والجهمية .

أبشع مقالاته في العقيدة:

نسب الدارمي إلى الله تعالى ما لم يخطر على بال أحد من العلماء على مر التاريخ، وهو استقرار الله تعالى على جناح بعوضة، قال: وَلَوْ قَدْ شَاءَ لَاسْتَقَرَّ عَلَى ظَهْرِ بَعُوضَةٍ

٢١ اللّبَاب (١/ ٤٨٤).

٢٢ اللّبَاب (٢/ ١٠٤-١٠٥) .

فَاسْتَقَلَّتْ بِهِ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ، فَكَيْفَ عَلَى عَرْشٍ عَظِيمٍ أَكْبَرَ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ[٢٣]

أبو يعلى الحنبلي:

محمد بن الحسين بن محمد بن الفراء، نسبة إلى خياطة الفراء وبيعها، أحد فقهاء الحنابلة في العصر العباسي الثاني كانت وفاته سنة (٤٥٨) هـ كان من المتشددين في مذهبه وخصوصاً في مسائل العقيدة التجسيمية، له كتاب: إبطال التأويلات، قال عنه ابن الأثير: مُصَنِّفُ كِتَابِ " الصِّفَاتِ " أَتَى فِيهِ بِكُلِّ عَجِيبَةٍ، وَتَرْتِيبُ أَبْوَابِهِ يَدُلُّ عَلَى التَّجْسِيمِ الْمَحْضِ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَكَانَ ابْنُ تَمِيمِيٍّ الْحَنْبَلِيُّ يَقُولُ: لَقَدْ شان أَبُو يَعْلَى الْفَرَّاءُ مذهب الْحَنَابِلَةِ شيناً لَا يَغْسِلُه ماء البحار[٢٤] .

قلت: بلغت به الجرأة على الله تعالى أن قال: «ألزموني ما شئتم من صفات الله فإني ألتزمه إلا اللحية والعورة، وإن أراد أحد أن يعلم الله، فلينظر إلى نفسه فإنه الله بعينه»[٢٥] ، أي أنه يلتزم القول بأن لله من الأعضاء ما للبشر إلا اللحية والعورة، وسمى هذه الأعضاء صفات، ومن خفي عليه شيء لله فلينظر إلى نفسه فإنه نسخة عن الله .

كان مصدر تشويش وتشغيب على المسلمين، وحدثت بسببه فتنة بينه وبين الشافعية في مسألة الجهر بالبسملة .

محمد بن إسحاق بن خزيمة:

٢٣ النقض على بشر المريسي (١/ ٤٥٨) .

٢٤ الكامل في التاريخ (٨/ ٢٠٩) .

٢٥ العواصم من القواصم (ص: ٢١٠) .

النيسابوري الشافعي (٢٢٣ هـ- ٣١١ هـ)، المكنى بأبي بكر، الحافظ الحجة الفقيه، صاحب كتاب الصحيح، تأثر أيام شبابه ببعض الحنابلة فقال بالتجسيم، أودع هذه العقائد بكتاب له سماه: كتاب التوحيد، أتى فيه بكل عجيبة من الأمور التجسيمية، حيث حمل الآيات والأحاديث المتشابهة على ظواهرها، وظاهرها يفيد التجسيم، حتى قال عنه بعض العلماء: الحق أنه كتاب الشرك لا كتاب التوحيد، والوَهابيَّة اليوم يعتنون به عناية كبيرة، ليدعموا به مذهبهم، إلا أن ابن خزيمة تاب في آخر حياته عن القول بالتجسيم، وندم على تصنيفه هذا الكتاب كما نص على ذلك البيهقي، حيث قال: وَقَدْ رَجَعَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ إِلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ وَتَلَهَّفَ عَلَى مَا قَالَ وَاللَّهُ أَعْلَمُ [٢٦].

وإنما أدرجت اسم الحافظ ابن خزيمة ضمن مراجع الحنابلة في التجسيم لأن الوَهابيَّة لهم عناية خاصة بكتاب التوحيد، وطبعوه مرات عديدة بتحقيقاتهم، ويدافعون عن عقيدة ابن خزيمة التجسيمية التي أدرجها في كتابه هذا .

البربهاري:

أبو محمد الحسن بن علي (ت:٣٢٩هـ) ، شديد الوطأة على الأشاعرة، له كتاب: "شرح السنة" ، قال فيه: إذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام؛ فإنه رجل رديء القول والمذهب، وإنما طعن على رسول الله ﷺ وأصحابه؛ لأنه إنما عرفنا الله وعرفنا رسول الله ﷺ وعرفنا

٢٦ الأسماء والصفات للبيهقي (ص:٢٥٩) بتعليقات الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث .

القرآن وعرفنا الخير والشر، والدنيا والآخرة بالآثار، فإن القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن [٢٧].

ابن تيمية:

أحمد بن عبد الحليم الحراني (ت:٧٢٨هـ)، يلقبه أتباعه بشيخ الإسلام، وهو مؤسس مذهب السَّلفيَّة، والذي قعد قواعده وأسسه، ناصبي محترف، مدلس ينسب القول إلى العلماء بصيغة التمريض لإيهام الناس أنه واسع الاطلاع، وفي الواقع أن أكثر ما ينسبه كذب لا أصل له، خالف أهل السنة والجماعة بسبع وستين مسألة، منها (١٩) مسألة في العقيدة، كقوله بالحد لله تعالى، والجهة والحلول، والجسم، وقدم العالم النوعي، وتسلسل حوادث لا أول لها، كما أنه ينفي العصمة عن الأنبياء، له سقطات بحق النبوة وأهل بيته، وقد أحصى بعضهم سقطاته في مؤلف مستقل، بلغت أخطاؤه بحق أهل البيت (٩٦)، منها أنه نسب السيدة فاطمة إلى النفاق، وأن سيدنا علياً قاتل للرياسة لا للديانة، وأنكر فضائله في الصحيحين، وغيرها .

وباقي أخطائه فقهية، منها تحريم زيارة النبي ﷺ وهو رائد فكرة التكفير والاستتابة، وضرب العنق، والنعت بالزندقة والبدعة والشرك، وبعد جولة في كتبه وجدت هذه الألفاظ:

كافر تكرر (٩٢٥) مرة .

كَفَر تكرر (١٣٩٧) مرة .

يقتل تكر: (٦٦٧) مرة .

ضربت عنقه تكرر (٣٠) مرة .

٢٧ شرح السنة للبربهاري (ص: ٧٩، رقم:٦٦) .

مرتد تكرر: (٨٢) مرة .

مشرك تكرر (١٧٥) مرة .

أشرك تكرر (٢٠٠) مرة .

بدعة تكرر (٩١٢) مرة .

ضلالة تكرر (٢٩٠) مرة .

زنديق تكرر (٩١) مرة .

زندقة تكرر (٢٩) مرة .

المجموع: (٤٧٩٨) لفظة .

وكتبه ليست كثيرة، أكثرها مختزل من مجموع الفتاوى، نسبها أتباعه إليه حتى يوهموا الناس بكثرة مؤلفاته، ومع هذا بدراسة بسيطة لشخصية هذا الرجل، حسب هذه الجولة الميدانية في كتبه ، نجده منطبعاً على التكفير والتبديع والتضليل، وحب قتل الموحدين، ففي فتاواه الكبرى، في المسألة الأولى منه أوجب قتل من جهر بالنية في الصلاة، فقال: يستتاب، فإن تاب وإلا قُتل .

ومما امتاز به بغض النبي ﷺ وأهل بيته، فقد نفى العصمة عن النبي ﷺ ونسب إليه الكبائر، وقال إنها غير قادحة في كمال الرجل .

ومنها مدح النواصب وتعظيمهم، كيزيد بن معاوية، كما أنا نجده من علماء السلاطين، فلم يُرو عنه أنه حمل سيفاً في وجه كافر، وكانت جهوده في معركة شقحب ضد التتر الذين أسلموا، بتحريض السلطان عليهم، والفتوى بتكفيرهم لأنهم أنكروا الجهر بالمنكرات كشرب الخمر .

قال ابن كثير: وَقَدْ تكلَّم النَّاس فِي كَيْفِيَّةِ قِتَالِ هَؤُلَاءِ التَّتَرِ مِنْ أَيِّ قَبِيلٍ هُوَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ وَلَيْسُوا بُغَاةً عَلَى الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي طَاعَتِهِ فِي وَقْتٍ ثُمَّ خَالَفُوهُ.

فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ: هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا، وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَيَعِيبُونَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا هُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِهِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالظُّلْمِ، وَهُمْ مُتَلَبِّسُونَ بِمَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ [٢٨] فالأمر واضح أنه من علماء السلطان، يحرضه على قتل المسلمين لأنهم أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، واعتبرهم بُغاة خرجوا على السلطان، من جنس الخوارج، مع أنهم غير تابعين له .

لذلك من الطبيعي أن نجد أتباعه بهذه الجرأة على تكفير المسلمين، وتبديعهم وتضليلهم، بدون تفريق بين عالم وعامي، وتحريض السلطان على قتلهم، كما فعل ابن عبد الوهاب، وحمل هذه الأفكار الإرهابية المتطرفة، والإفتاء بما يحلو له وإن خالف جمهور العلماء . وهذه أسماء من يعتمدهم الوَهابيَّة من سلفهم:

عبد الله بن أحمد بن حنبل، له كتاب السنة، محشو بالتجسيم .

اللالكائي: هبة الله بن حسن، له كتاب «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» .

الطلمنكي: احمد محمد عبد الله، مجسم له كتاب: ﴿الوصول إلى معرفة الأصول﴾، قال عنه الذهبي: فيه إثبات الجنب لله تعالى .

الخلال: أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون ت:٣١١هـ) له كتاب السنة .

٢٨ البداية والنهاية ط إحياء التراث (١٤/ ٢٨) .

ابن منده: محمد بن إسحاق، له كتاب التوحيد .

ابن زفيل الزرعي: تلميذ ابن تيمية، والمدافع عنه .

ابن قدامة: عبد الله أحمد المقدسي، نسبة إلى بيت المقدس، له كتاب: «إثبات صفة العلو»، قال فيه بالعلو الحقيقي لله تعالى، وأنه على العرش حقيقة .

ابن شيخ الحزَّامين: عماد الدين أحمد بن إبراهيم(ت:٧١١هـ)، له دفاع عن ابن تيمية.

علي بن علي المشهور بابن أبي العز الحنفي، شارح العقيدة الطحاوية، وهو تلخيص لبعض كتب ابن تيمية (ت:٧٩٢هـ) .

ابن عبد الهادي: محمد أحمد، من تلاميذ ابن تيمية، تابع شيخه بمنع زيارة النبي ﷺ ورد على السبكي بكتاب تالف سماه: "الصارم المنكي في الرد على السبكي" .

الهروي: عبد الله بن محمد، مجسم، له يد في التشغيب وإثارة الفتن بين المذاهب، له كتاب «الصفات» .

الخلاصة: بعد هذه الجولة السريعة، تبين لنا كيف أسس السلف لأتباعهم الخلف، مذهبهم التجسيمي، فوجدناهم تجرؤوا بأقوالهم على الله بوصفه بما لم يصف به نفسه، ولم يصفه أحد من الصحابة، أو التابعين، حتى سرت هذه الجرأة لأتباعهم الذين نراهم اليوم، فهم نسخة عن أشياخهم، وسنبين عقيدتهم في الله تعالى .

الباب الأول

المفصل في عقيدة الوَهابيَّة

ويشمل الشق الأول من كلمة التوحيد: «لا إله إلا الله» ، وهي العقائد المتعلقة بالله تعالى، فيصفونه بإله جالس على العرش، بصورة البشر، أمرد لا لحية له، طويل شعر الرأس، في رجليه نعلان من ذهب، وقد دلاهما على الكرسي...الخ وأبدأ بقولهم:

إن الله جثة :

أول من قال بأن الله جثة على صورة الإنسان: مقاتل بن سليمان، وهو أحد رموز الوَهابيَّة الذين ينعتونهم بالسلف، قال: إن الله جسم، وَأَنه جثة وأعضاء على صُورَة الْإِنْسَان؛ لحم وَدم وَشعر وَعظم، لَهُ جوارح وأعضاء ، وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يُشبهُ شَيْء [٢٩] . وبمثله قال داود الجواربي .

قال ابن تيمية: وقال قائلون: إن الباري جسم، وأنكروا أن يكون موصوفًا بلون أو طعم أو رائحة، أو مجسة أو شيء مما وصفه هشام، غير أنه تعالى على العرش، مماس له دون ما سواه .

قال أبو الحسن: واختلفوا في مقدار الباري تعالى بعد أن جعلوه جسماً فقال قائلون: هو جسم وهو في كل مكان، وفاضل عن جميع الأماكن، وهو مع ذلك متناه [٣٠]، غير أن مساحته أكبر من مساحة العالم، لأنه أكبر من كل شيء، وقال بعضهم: مساحته على قدر العالم، وقال بعضهم: إن الباري عز وجل جسم له مقدار من المساحة، ولا ندري كم ذلك المقدار، وقال بعضهم: هو تعالى في أحسن الأقدار، وأحسن الأقدار يكون ليس بالعظيم الجافي ولا بالقليل القميء ، وحكي عن هشام بن الحكم: أن أحسن الأقدار أن يكون سبعة أشبار بشبر نفسه، قال: وقال بعضهم: ليس لمساحة الباري تعالى نهاية ولا غاية، وأنه ذاهب في الجهات الست؛ اليمين والشمال والأمام والخلف والفوق والتحت، قالوا: وما كان كذلك لا يقع عليه

٢٩ المنتقى من منهاج الاعتدال (ص: ١١٥) للذهبي، مقالات الإسلاميين ت ريتر (ص: ٢٠٩) .

٣٠ أي له نهاية وحد ينتهي به .

اسم جسم، ولا طويل، ولا عريض ولا عميق، وليس بذي حدود، ولا هيئة ولا قطب، وقال بعضهم: إن معبودهم هو الفضاء وليس بجسم والأشياء قائمة به .

وقال داود الجواربي: إن الله جسم، وإنه جثة على صورة الإنسان؛ لحم ودم، وشعر وعظم، له جوارح وأعضاء، من يد ورجل، ولسان ورأس وعينين، وهو مع هذا لايشبه غيره ولا يشبهه غيره، وحكي عن الجواربي أنه كان يقول: أجوف من فيه إلى صدره، ومصمت ما سوى ذلك .

وقال هشام بن سالم الجواليقي: إن الله تعالى على صورة الإنسان، وأنكر أن يكون لحما ودماً، وأنه نور ساطع يتلألأ بياضاً، وأنه ذو حواس خمس كحواس الإنسان، سمعه غير بصره ، وكذلك سائر حواسه، له يد ورجل وأذن، وعين وأنف وفم، وأن له وفرة سوداء [٣١] .

عبد العزيز بن باز:

قال في مقدمته لكتاب: عقيدة أهل الإيمان، بخلق آدم على صورة الرحمن، للتويجري:

أما بعد؛ فقد اطلعت على ما كتبه صاحب الفضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري وفقه الله وبارك في أعماله، فيما ورد من الأحاديث في خلق آدم على صورة الرحمن، وسمى مؤلفه في ذلك: «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن»، فألفيته كتاباً قيماً كثير الفائدة، قد ذكر فيه الأحاديث الصحيحة الواردة في خلق آدم على صورة الرحمن، وفيما يتعلق بمجيء الرحمن يوم القيامة على صورته، وقد أجاد

٣١ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٥٥٥) .

وأفاد، وأوضح ما هو الحق في هذه المسألة، وهو أن الضمير في الحديث الصحيح في خلق آدم على صورته يعود إلى الله عز وجل [٣٢] .

حمود التويجري:

النجدي، من سدير، توفي سنة (١٤١٣)هـ، له ما يقارب الخمسين مؤلفاً، ومن جملة كتبه كتاب: " عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن "، حشد أخباراً كثيرة أطلقها على ظاهرها من نسبة الجسمية إلى الله تعالى، منها:

"ثبت عن الصحابة أنهم تكلموا بمعناه كما في قول ابن عباس: «تعمد إلى خلق من خلقي على صورتي» [٣٣] .

وقال: وأيضاً فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة، فإن في السفر الأول منها: "سنخلق بشراً على صورتنا يشبهها" [٣٤] ،

قلت: "التويجري" وهذا القول يرجع إلى قول من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم ، قال ابن قتيبة: ولست أحتم بهذا التأويل على هذا الحديث، ولا أقضي بأنه مراد رسول الله ﷺ فيه لأني قرأت في التوراة: «أن الله جل وعز لما خلق السماء والأرض قال: «نخلق بشراً بصورتنا فخلق آدم من أدمة الأرض ونفخ في وجهه نسمة الحياة» وهذا لا يصلح له ذلك التأويل، وكذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن موسى صلى الله عليه وسلم ضرب الحجر لبني إسرائيل فتفجر وقال: «اشربوا يا حمير»

٣٢ عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن (مقدمة/ ٧)، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، (١٤٠٩ هـ- ١٩٨٩) م .

٣٣ (ص:٧٥) ، أثر مرسل .

٣٤ (ص:٧٦) ، والنص في التوراة، سفر التكوين، (١: ٢٦) بلفظ: و قال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا... فخلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرا وأنثى خلقهم .

فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: «عمدت إلى خلق من خلقي خلقتهم على صورتي فشبهتهم بالحمير» فما برح حتى عوتب، هذا معنى الحديث.

قلت: إن التويجري ينسب الصورة إلى الله تعالى، وأنه جسم بصورة الإنسان، مع فارق الحجم والطول، بينه وبين البشر، مستشهداً بحديث: « إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» [٣٥] ، ولم يأوِّل الحديث بصرفه عن ظاهره، أو نقل أقوال علماء السلف في معنى الحديث، وبعد ذلك استشهد بأثر مرسل عن ابن عباس، لم يذكر سند النص ولا مصدره، ثم استشهد بنص من التوراة، وبعد هذا كله أخذ يدافع عن التوراة بأن نصوص العقيدة فيها لم تُحرف، قال: "من المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي ﷺ فلو كان ما فيها من الصفات كذباً وافتراء ووصفاً لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد، لكان إنكار ذلك عليهم موجوداً في كلام النبي ﷺ أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك [٣٦].

[مناقشة قوله]: لا بدَّ من مناقشة أقواله في النص الذي أورده، حتى يتبين الحق، وأبدأ بالحديث الذي استشهد به، وأقره عليه ابن باز، مدعياً أن هذا هو الحق، وأبدأ بنص الحديث عند مسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، فَلْيَجْتَنِبِ الْوَجْهَ، فَإِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» [٣٧].

والذي يظهر أن النبي ﷺ مر برجل يضرب رجلاً فأرشده إلى ما هو أفضل، وهو أن يحترم الصورة الإنسانية التي خُلق منها الأنبياء، فلا يضربه على وجهه، لأن الله خلق

٣٥ صحيح مسلم (٤/ ٢٠١٧).

٣٦ عقيدة أهل الإيمان (ص:٧٧).

٣٧ (٤/٢٠١٧).

آدم على صورة هذا الرجل فإنه ولده، والولد سر أبيه، حيث تنتقل إليه الجينات الوراثية، واجتناب الوجه لأنه مجمع المحاسن والحواس .

وجاء الحديث بروايـــة ثانية، حيث كانت لها مناســبة أخرى وهي: صــورة آدم عندمــا خلقه الله تعالى، فقد روى البخاري « إن الله خلق آدم على صورته ستون ذراعاً في السماء ثم قـال له اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فهي تحيتك وتحية ذريـتك» [٣٨] .

وثمة مناسبة ثالثة للحديث، أي بمعنى أن الحديث تكرر منه ﷺ ليعلِّم الناس قضية أخرى وهي صورة الناس عند دخولهم الجنة، فقد روى ابن حبان: « فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً» [٣٩] .

قال أبو حاتم: فمعنى الخبر عندنـــا بقوله ﷺ خلق الله آدم على صـورته إبانة فضـــل آدم على ســـائر الخلق والهاء راجعة إلى آدم، والفائدة من رجوع الهاء إلى آدم دون إضــافتها إلى البارى جـــل وعلا جل ربنا وتعالى عن أن يشــبَّه بشيــء من المخلوقين.

لذلك تكررت مناسبات الحـــديث فتكرر لفظه، وكل لفظ فهمنا منه معنى جديدا، وليس المقصود أن صورة آدم هي عين صورة الله تعالى.

ورواه مســـلم في صـــحيحه بلفظ: « إن أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صـورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشـد نجم في السـماء، ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولـــون ولا يمتخطون ولا يبزقون، أمشـــاطهم الذهب

٣٨ في صحيحه باب بدء الخلق (٣: ١٢١٠ رقم: ٣١٤٨)، ورواه أيضاً في باب السلام ٢٢٩٩/٥ بهذا اللفظ، وذلك ليعلّم النبي ﷺ أمته كيفية السلام وما هو أصله فساق الحديث.

٣٩ في بدء الخلق برقم (٦٠٦٢) ١٤:٣٤ ذكر وصف طول آدم .

ومجامرهم الألوة ورشحهم المسك، علـــى خلُق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»[٤٠].

من هاتين الروايتين تبين لنا أن صـورة أبينا آدم عليه السـلام التي خلقه الله عليها من حيث الطول ستون ذراعاً، والذراع يساوي (٤٦) سم، أي ما يعادل سبعة وعشـــرين متـــرا، فانتفى بذلك أن آدم على صورة الله، تعالى الله عن ذلك، وإنما المقصـود أن الله تعالى لما خلق آدم خلقه بطول ســتين ذراعاً، وأن الخلق لم تزل في التناقص حتى هذا اليوم، وإنهم عند دخول الجنة سـ يدخلونها بنشـأة جديدة وهي على صورة آدم ستون ذراعاً.

الحديث الثاني: استشهد التويجري بحديث صحيح هو: «إن الله خلق آدم على صورة الرحمن»، ليس في هذا الحديث ما يشير إلى الجسمية، فآدم عليه السلام خُلق من تراب، ثم عُجنت طينته بالماء، ثم شكَّله جبريل بالصورة الآدمية، لذلك قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ﴾ [ص: ٧١]، ثم بدأ الماء يجف من هذه الطينة، فخرجت منه ريح الحمأ، فأطلق الله تعالى على هذه المرحلة الحمأ المسنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[الحجر: ٢٦]، والصلصال هو الذي بدأت فيه اليبوسة، والحمأ الذي بقيت فيه الرطوبة، أي أن لم يجف كاملاً .

ولما تم ذهاب الماء من الطينة بالكاملأ أطلق الله تعالى عليه اسم صلصال كالفخار: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، فهذه مراحل الصورة الآدمية الطينية لأبينا آدم عليه السلام، لكن لم يخبرنا القرآن أن الملائكة سجدت لآدم

٤٠ (٤: ٢١٧٩ برقم ٢٨٣٤) .

في هذه المرحلة، وإنما سجدت عند نفخ الروح، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، فقوله سويته، أي أكملت خلقه بتحويل التراب إلى لحم وعظم وأعصاب وشعر وغير ذلك ليكون جاهزا متهيئاً لدخول الروح، فعندما نفخ فيه الروح، دبت فيه الحياة وهناك سجد الملائكة، وفي هذا إشارة إلى أن التكريم يكون بالروح، لأن الله أودع فيها سبعاً من صفاته هي: الحياة، وبها صار آدم حيا، والعلم، وبه فضل على الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، والقدرة، وبها صار يتحرك ويروح ويأتي، والإرادة، والسمع والبصر والكلام وبها يكون التكليف الشرعي، فهذا هو سر تكريمه، وهذه الصفات في الأصل هي لله تعالى، لكنها كانت في آدم محدودة، وهي لله مطلقة، وهي المقصودة بقوله: «على صورة الرحمن» وهي ما تسمى بالصفات المعنوية، أي التي لا تُرى ولا تُحس، ولا تُكيف .

فالدليل القوي في هذا الحديث على أن الصورة المقصودة هي الصفات المعنوية السبعة التي أودعها الله في الطينة الآدمية، فكما أن الله حي صار آدم حيا، وكما أن الله يتصف بصفة العلم كذلك صار آدم، وكما أنه يتصف بالسمع والبصر والقدرة والإرادة والكلام كذاك هو آدم، فهو نسخة مصغرة محدودة من صفات الله السبعة.

والسؤال المطروح: ما هي القرينة الصارفة التي تصرف معنى الحديث إلى الشكل الخارجي لآدم، ولم تصرفه لصفات الروح المذكورة؟ إذ إن آدم مخلوق منهما جميعا؟

عقيدة الشَّابِّ الأمرد:

يعتقد الوَهابيَّة أن ربهم بصورة الآدميين، شاب أمرد، يجلس على عرشه في العلا، حيث يدَّعون أن النبي ﷺ رآه على هذه الصورة في رحلة المعراج.

قال أبو يعلى: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي صُورَةِ شَابٍّ أَمْرَدَ، لَهُ وَفْرَةٌ جَعْدٌ قَطَطٌ، فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ » [٤١].

قال ابن تيمية: سئل ابن عباس: هل رأى محمد ربه؟ قال: نعم، قال: وكيف رآه؟ قال: في صورة شاب دونه ستر من لؤلؤ، كأن قدميه في خضرة.

فقلت أنا لابن عباس: أليس في قوله: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام ١٠٣]، قال: لا أم لك، ذاك نوره الذي هو نوره إذا تجلى بنوره لا يدركه شيء، وهذا يدل على أنه رآه ، وأخبر أنه رآه في صورة شاب دونه ستر، وقدميه في خضرة، وأن هذه الرؤية هي المعارضة بالآية والمجاب عنها بما تقدم، فيقتضي أنها رؤية عين، كما في الحديث الصحيح المرفوع عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ :«رأيت ربي في صورة شاب أمرد له وفرة، جعد قطط، في روضة خضراء» [٤٢]. وفي رواية: رآه في روضة خضراء دونه فَراش من ذهب، على كرسي من ذهب، يحمله أربعة من الملائكة؛ ملك في صورة رجل؛ وملك في صورة ثور؛ وملك في صورة نسر وملك في صورة أسد [٤٣].

قلت: وأظن أن هؤلاء الملائكة هم المقصودون بهذا الأثر الذي يعتقده أئمة التجسيم والمشهور بحديث الأوعال :

٤١ إبطال التأويلات (ص:١٤٣، رقم: ١٤٣).

٤٢ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٢٩٠) ، منهاج السنة النبوية (٢/ ٦٣٤).

٤٣ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٧/ ٢٣٤).

حديث الأوعال:

أورد ابن القيم حديثاً يشير فيه إلى أن العرش محمول على ظهر ثمانية أوعال، ثم فوق العرش يجلس ربه: « ... إِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةٌ أَوِ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ " حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ " ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ بَحْرٌ بَيْنَ أَعْلَاهُ وَأَسْفَلِهِ مِثْلَ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَوْعَالَ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكَبِهِمْ مِثْلَ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ (بَيْنَ) أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ ثُمَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ ذَلِكَ» [٤٤] .

قلت: إن هذا الحديث ضعيف الإسناد، شاذ المتن، مخالف لما جاء في القرآن أن الذي يحمل العرش هم ملائكة، وليس أوعالاً، والوعل هو التيس الجبلي، والحديث الضعيف لا يؤخذ به في العقائد، وقد يؤخذ بالحديث الصحيح إذا كان موافقاً للقرآن .

قلت: أَوْرَدَ السُّيُوطِيُّ فِي " اللَّآلِئِ الْمَصْنُوعَةِ: (٣١/١) عِدَّةَ أَحَادِيثَ عَنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ فِي صُورَةِ شَابٍّ أَوَّلُهَا حديث أُمِّ الطُّفَيْلِ مَرْفُوعاً: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي الْمَنَامِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ؛ شَابّاً مُوَقَّراً، رِجْلَاهُ فِي خُضْرَةٍ، لَهُ نَعْلَانِ مِنْ ذَهَبٍ، عَلَى وَجْهِهِ فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ .

وَأَوْرَدَهَ الشَّوْكَانِيُّ فِي الْفَوَائِدِ المجموعة (ص: ٤٤٧) وقال: رواه الخطيب عن أم الطفيل وهو موضوع .

وَأَوْرَدَ السُّيُوطِيُّ أَقْوَالَ الْعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَنْكَرَهَا وَعَدَّهَا مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَاوَلَ تَأْوِيلَهَا عَلَى أَنَّ الرُّؤْيَةَ هُنَا إِنَّمَا كَانَتْ فِي الْمَنَامِ أَوْ أَنَّ الرَّسُولَ رَأَى رَبَّهُ بِفُؤَادِهِ .

٤٤ اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٠٢) .

وَانْظُرْ: تَذْكِرَةَ الْمَوْضُوعَاتِ لِلْفَتَّنِيِّ، (ص: ٣١)، تَنْزِيهَ الشَّرِيعَةِ المرفوعة (١/١٤٥).

قولهم: إن الله خلق الأشياء بيده:

قال الدارمي المجسم: فَيُقَالُ لِهَذَا الْمَرِيسِيِّ الْجَاهِلِ بِاللَّهِ وَبِآيَاتِهِ: فَهَلْ عَلِمْتَ شَيْئًا مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ وَلِيَ خَلْقَ ذَلِكَ غَيْرَهُ، حَتَّى خَصَّ آدَمَ مِنْ بَيْنِهِمْ أَنَّهُ وَلِيَ خَلْقَهُ من غير مَسِيس بِيَدِهِ فسمه؟ وَإِلَّا فَمَنِ ادَّعَى أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَلِ خَلْقَ شَيْءٍ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ فَقَدْ كَفَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ وَلِيَ خَلْقَ الْأَشْيَاءِ بِأَمْرِهِ، وَقَوْلِهِ، وَإِرَادَتِهِ، وَوَلِيَ خَلْقَ آدَمَ بيد مَسِيساً لَمْ يَخْلُقْ ذَا رُوحٍ بِيَدَيْهِ غَيْرَهُ، فَلِذَلِكَ خَصَّه وَفَضَّلَهُ، وَشَرَّفَ بِذَلِكَ ذِكْرَهُ، لَوْلَا ذَلِكَ مَا كَانَتْ لَهُ فَضِيلَةٌ مِنْ ذَلِك على شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ، إِذْ خَلَقَهُمْ بِغَيْرِ مَسِيسٍ، حَتَّى يَعْلَمَ الْعِبَادُ أَنَّهَا تَأْكِيدُ مَسِيسٍ بِيَدٍ ، لَمَّا أَنَّ اللَّهَ قَدْ خَلَقَ خَلْقاً كَثِيراً فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ آدَمَ وَأَصْغَرَ،ولَمْ يُؤَكِّدْ فِي خَلْقِ شَيْءٍ مِنْهَا مَا أَكَّدَ فِي آدَمَ [٤٥] .

ابن تيمية: أكد ابن تيمية هذه المسألة، حيث أوردها في مواضع من كتابه: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٨/ ٤٧) .

صالح الفوزان: وهو من علماء الوَهابيَّة المعاصرين، يؤكد هذه المسألة، واستشهد بالآيات القرآنية غير مأوَّلٍ لها، قال: قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فوصف نفسه بأن له يدين، وأنه يُنفق كيف يشاء، لا أحد يعترض عليه ولا يمنعه، ولا يمنع فضله سبحانه وتعالى، الشاهد من الآية ﴿يَدَاهُ﴾ وصف نفسه بأن له يدين كما في الآية الأخرى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، حيث خلق الله آدم بيديه سبحانه وتعالى، وأما بقية الخلائق فإنه

٤٥ نقض أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٢٣٠) .

يخلقها بأمره، يقول للشيء كن فيكون، تتكوَّن الأشياء بأمره سبحانه، أما آدم فإن الله خلقه بيده سبحانه، وهذا تشريف لآدم عليه الصلاة والسلام، من بين سائر الخلق أن الله خلقه بيده جل وعلا، قال:﴿ خَلَقْتُ ﴾، ثم قال: ﴿بِيَدَيّ﴾ هذا صريح في إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى .

أهل الضلال يقولون: المراد بيد الله قدرته، أي خلقته بقدرتي، فيُرد عليهم أنه لو كان كذلك لم يكن لآدم مزية على غيره من المخلوقات، كل المخلوقات خُلقت بقدرة الله سبحانه تعالى .

ثانياً: أنه قال: ﴿بِيدَيَّ﴾ هل يقال بقدرتَيَّ، هل لله قدرتان أو قدرة واحدة؟ له قدرة واحدة، فدلَّ على أن قوله: ﴿بِيدَيَّ﴾ تثنية يد الحقيقية، كما يفهم هذا المعنى اللغوي المعروف في الحس، لكن له يدان سبحانه وتعالى تختصان به لا تشبهان يدي المخلوق، فيداه تليقان به، ولا يعلم كيفيتهما إلا الله، وليستا كيدي المخلوقين[٤٦].

وهذا الاعتقاد هو عند الوَهابيَّة جميعا، أي أنهم يأخذون النص على ظاهره، ولا يقولون بالتأويل، وكلامهم في هذا مبثوث في كتبهم بكثرة .

قلت: إن معنى اليدين هنا على المجاز لا على الحقيقة، لأن لفظ اليد ورد في القرآن في آيات عديدة، كل واحدة منهما أفادت معنى، وجاء اللفظ بصيغة المفرد: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، ومنها المثنى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ومنها بصيغة الجمع: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، والمجسمة صرفوا المعنى إلى أن لله يدين اثنتين، فما هي القرينة الصارفة؟

٤٦ شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، صالح الفوزان، (ص:٧٤) .

إن معنى اليد عندنا يتحدد من خلال النص، لا نقول: هي القدرة وحسب، فقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠]، اليد هنا هي يد النبي ﷺ وليست يد الله، لأن الذي بايع الصحابة هو النبي ﷺ بشاهد الفعل الواقع منه ﷺ ومن الصحابة، وكانت البيعة تحت شجرة في الحديبية، لكن الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه مجازاً لتشريف هذه البيعة التي كانت عنده بمكان، بحيث كانت سبباً في رضى الله تعالى عن الصحابة، ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} [الفتح: ١٨] ، فاليد هنا ليست هي يد الله، وإنما هي يد النبي ﷺ.

والآية الثانية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] ، إن لفظ اليدين هنا ورد في معرض الإنفاق، وهي ردٌّ من الله تعالى على مزاعم اليهود الذين وصفوا الله تعالى بالبخل، فقالوا: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾، فعبر اليهود عن البخل بغلِّ اليد، وهو مصطلح دارج عند العرب، وليس قصدهم: أن غلاً وُضع بيد الله تعالى، فهو كناية، فردَّ الله عليهم من جنس قولهم،: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فكما كنى اليهود عن البخل بغل اليد، كنى الله تعالى عن الكرم ببسط اليد، وحتى يصف الله نفسه بالكرم المطلق تجاوز اللفظ من اليد الواحد إلى اليدين، لأن زيادة المبنى (اللفظ) فيه زيادة المعنى، فالذي ينفق يجب فيه شرطان: الغنى والكرم، لأن الكريم إذا لم يكن ذا مال فكيف ينفق؟ وإذا كان ذا مال ولكنه بخيل، فكيف ينفق؟ لذا لا بدَّ من هذين الشرطين: الكرم، والغنى، فاليد الأولى هي الغنى، وقد وصف الله نفسه بالغني: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الأنعام: ١٣٣]، واليد الثانية: الكرم، وقد وصف

الله نفسه بذلك: ﴿يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]، فأثبتنا ما أثبته الله لنفسه، لكن بالمعنى الذي يليق به، ووصف نفسه به سبحانه .

والشاهد في هذا من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، فليس قصد الآية ظاهرها، ولكنه المعنى المجازي المأخوذ من اللفظ الدارج عند العرب، حيث كنوا بغل اليد عن البخل، وبسط اليد عن الإنفاق، فكان الذي يجب على العبد أن يكون وسطاً بين الإفراط في النفقة وهي التبذير، وبين التفريط وهو الشح والبخل، بمسك اليد عن الإنفاق، فديننا دين الوسط، أمر أن ننفق في مجال الإنفاق، وأن لا نبخل، حتى لا يقع المسلم في حالة من الإحراج إن هو أنفق جميع ماله، لأنه فقير بطبعه .

فالآية لم تأتِ مخبرةً بأن للإنسان يدا، بل جاءت مخبرة عن التوسط في النفقة، كذلك الآية الأولى ، لم تأت لتخبر بأن لله يدا، بل جاءت واصفة ربنا بالكرم المطلق .

والآية الثالثة: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً﴾ [يس: ٧١]، فيها رد على المجسمة بقولهم: إن الله خلق آدم بيديه مسيساً لم يخلق ذا روح سواه، وإلا لم تكن له مزية، فهذه الأنعام ؛ الإبل والبقر والغنم، خلقها الله لنا، وعملتها أيديه، بصيغة الجمع، فإن كان الله خلق آدم بيده، تكرمة له، فقد خلق الأنعام بأيدي، وهي جمع، فهل تكون الأنعام أكثر كرامة من آدم؟

لكنا نقول: إن لفظ الأيدي هنا استعارة، حيث اسْتُعِيرَ عَمَلُ الْأَيْدِي الَّذِي هُوَ الْمُتَعَارَفُ فِي الصُّنْعِ إِلَى إِيجَادِ أُصُولِ الْأَجْنَاسِ بِدُونِ سَابِقِ مَنْشَأٍ مِنْ تَوَالُدٍ أَوْ نَحْوِهِ، فَأُسْنِدَ ذَلِكَ إِلَى أَيْدِي اللَّهِ تَعَالَى، لِظُهُورِ أَنَّ تِلْكَ الْأُصُولَ لَمْ تَتَوَلَّدْ عَنْ سَبَبٍ كَقَوْلِهِ: ﴿وَالسَّماءَ بَنَيْناها بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧] ، فَـ (مِنْ) فِي قَوْلِهِ: مِمَّا عَمِلَتْ ابْتِدَائِيَّةٌ،

لِأَنَّ الْأَنْعَامَ الَّتِي لَهُمْ مُتَوَلِّدَةٌ مِنْ أُصُولٍ، حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى أُصُولِهَا الْأَصْلِيَّةِ، الَّتِي خَلَقَهَا اللَّهُ كَمَا خَلَقَ آدَمَ، فَعَبَّرَ عَنْ ذَلِكَ الْخَلْقِ بِأَنَّهُ بِيَدِ اللَّهِ، اسْتِعَارَةً تَمْثِيلِيَّةً لِتَقْرِيبِ شَأْنِ الْخَلْقِ الْخَفِيِّ الْبَدِيعِ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] . وَقَرِينَةُ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةِ مَا تَقَرَّرَ مِنْ أَنَّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُ الْمَخْلُوقَاتِ، فَذَلِكَ مِنَ الْعَقَائِدِ الْقَطْعِيَّةِ فِي الْإِسْلَامِ،[٤٧].

إن قول الفوزان هذا، وغيره من كلام الوَهابيَّة وأسلافهم من أهل التجسيم منقوض بكلام الله تعالى، فهم يقولون: إن الله خلق آدم بيديه مسيساً تكرمة له، ولكن الله تعالى أخبرنا بغير ذلك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، والآية ظاهرة المعنى وهو: خلق سيدنا عيسى كان بدايةً بنفخ الروح في جيب السيدة مريم، ولما استقرت الروح في رحمها كساها الله باللحم وتوابعه حتى صار بشرا، ووُلد كباقي البشر، ولادة طبيعية ، فروح سيدنا عيسى متقدمة في الخلق على جسمه، أما آدم فجسمه متقدم في الخلق على الروح، فشكَّل الجسم أولاً ثم نفخ فيه الروح، وكلاهما خلق من غير أب، وظهورهما جميعاً كباقي البشر تمَّ خلقهما بقول: كن .

لذلك وجب تأويل لفظ اليد بما يوافق هذه الآية لكونها محكمة، وتلك الآية متشابهة، والمحكم أصل في التأويل يجب الرجوع إليه .

قولهم بحاسة الشَّمِّ:

لما اعتقد المجسمة أن ربهم بشكل الإنسان شكلاً وصورة، اعتقدوا أن له من الحواس ما للبشر، فقالوا: له صفة الشم :

٤٧ التحرير والتنوير (٢٣/ ٦٨) .

قال البراك: هذا الجزم من الحافظ رحمه الله بنفي صفة الشم عن الله تعالى الذي هو إدراك المشمومات لم يذكر عليه دليلاً إلا قوله: "إذ ذاك من صفة الحيوان"، وهذه الشبهة هي بعينها شبهة كل من نفى صفة من صفات الله سبحانه من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، وهي شبهة باطلة؛ فما ثبت لله تعالى من الصفات يثبت له على ما يليق به، ويختص به كما يقال ذلك في سمعه وبصره وعلمه وسائر صفاته، وصفة السمع ليس في العقل ما يقتضي نفيها، فإذا قام الدليل السمعي على إثباتها وجب إثباتها على الوجه اللائق به سبحانه، وهذا الحديث - وهو قوله: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك" - ليس نصاً في إثبات الشم، بل هو محتمل لذلك، فلا يجوز نفيه من غير حجة، وحينئذ فقد يقال: إن صفة الشم لله تعالى مما يجب التوقف فيه لعدم الدليل البين على النفي أو الإثبات فليتدبر، والله أعلم بمراده ومراد رسوله ﷺ، هذا وقد قال ابن القيم عند هذا الحديث: "بعد ذكر كلام الشراح في معنى طيبه وتأويلهم إياه بالثناء على الصائم والرضا بفعله، على عادة كثير منهم بالتأويل من غير ضرورة، حتى كأنه قد بورك فيه فهو موكل به، وأي ضرورة تدعو إلى تأويل كونه أطيب عند الله من ريح المسك بالثناء على فاعله والرضا بفعله، وإخراج اللفظ عن حقيقته؟ [٤٨].

ابن باز: قال ابن باز مجيباً عن سؤال: هل يؤخذ من الحديث: «أطيب عند الله من ريح المسك» إثبات صفة الشم لله عز وجل؟

الجواب: ليس ببعيد [٤٩].

٤٨ تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري (٤/ ١٠٥)، أو التعليق رقم (١٤) من النسخة المعدلة بدون نص فتح الباري.

٤٩ مسائل ابن باز، سؤال رقم (٧٧٠).

قلت: يقول المجسمة أنهم يثبتون ما أثبته الله لنفسه، ويقولون عن الأشاعرة الذين يقولون بتأويل المتشابه أنهم معطلة، فمن أين استدلوا على صفة الشم، أو وجود حاسة الشم عند الله تعالى؟؟ إن الحديث لم يخبر بأن له هذه الصفة أو الحاسة، فالأشاعرة لم يقولوا بها، ولكنهم يؤمنوا بالحديث النبوي ويدعونه على إطلاقه، ولسنا مكلفين بالخوض به، أليس هذا هو الأسلم!

قولهم: بالفخذ والقدم :

قال أبو يعلى المجسم: قوله، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ، قَالَ: إن الله، عَزَّ وَجَلَّ، ليقرب داود حتى يضع يده عَلَى فخذه يَقُول: أدن منا أزلفت لدينا.

اعلم أنه غير ممتنع حمل هَذَا الخبر عَلَى ظاهره، إذ ليس فيه ما يحيل صفاته، ولا يخرجها عما تستحقه، لأنا لا نثبت قدماً وفخذاً جارحة ولا أبعاضا، بل نثبت ذَلِكَ صفة، كما أثبتنا الذات والوجه واليدين، ولا نثبت أخذاً بقدمه عَلَى وجه المماسة، كما أثبتنا خلقه لآدم بيده لا عَلَى وجه المماسة والملاقاة [٥٠] .

قال الخلال: ثَنَا مُجَاهِدٌ، قَالَ: " إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ذَكَرَ دَاوُدُ ذَنْبَهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: كُنْ أَمَامِي، فَيَقُولُ: رَبِّ، ذَنْبِي ذَنْبِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كُنْ خَلْفِي، فَيَقُولُ: رَبِّ، ذَنْبِي ذَنْبِي، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: خُذْ بِقَدَمِي " [٥١] .

وبمثله قال أبو يعلى المجسم [٥٢] .

٥٠ إبطال التأويلات، (ص:٢٠٦، رقم ١٩٥) .

٥١ السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢٦٣) .

٥٢ إبطال التأويلات (ص: ٢٠٦، رقم:١٩٥) .

قلت: يقولون بأن الفخذ صفة، أي لغة في الكون أجازت أن يكون العضو صفة، وليس جارحة؟ ومن قال بها من أهل اللغة؟ أو علماء التفسير أو المحدثين .

قولهم بعقيدة الأصابع:

قال محمد العثيمين: يقول بعض الناس: الله تعالى له أصابع، ويقول المحرفون: ليس له أصابع، والمراد بقوله: إِنَّ قُلُوْبَ بَنِيْ آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كمال السيطرة والتدبير، سبحانَ الله، أأنتم أعلم أم رسول الله؟ نفوا الأصابع لظنهم أن إثباتها يستلزم التمثيل، فمثلوا أولاً وعطّلوا ثانياً، فجمعوا بين التمثيل والتعطيل.

وجاء آخرون فقالوا: قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن، وأمسك المسواك بين أصابعه وقال: بين أصبعين من أصابع الرحمن. قطع الله هاتين الأصبعين. فهل يحلّ هذا؟

الجواب: لا يحل، أولاً: هل تعلم أن أصابع الله تعالى خمسة: إبهام وسبابة ووسطى وبنصر وخنصر؟ لا تعلم .

ثانياً: هل تعلم أن كون القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن: بين الإبهام والسبابة، أو بين الإبهام والوسطى، أو بين الإبهام والبنصر، أو بين الإبهام والخنصر؟ كيف تقول على الله ما لاتعلم، أم على الله يفترون، فمثل هذا يستحق أن يؤدّب لأنه قال على الله ما لا يعلم [٥٣] .

قال محمد الخميس: مثال قوله ﷺ : «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء »، فقالوا على الوجه الأول: ظاهر الحديث

٥٣ شرح الأربعين النووية للعثيمين (ص: ٣٩) .

أن قلوب بني آدم بين أصابع الرحمن فيلزم منه المباشرة والمماسة، وأن تكون أصابع الله سبحانه داخل أجوافنا، وهذا فاسد فيكون غير مراد.

وقالوا على الوجه الثاني: ظاهر الحديث أن لله أصابع حقيقية والأصابع جوارح، وهذا معنى فاسد فيكون غير مراد .

فالجواب:

أولاً: نقول على الوجه الأول: قد دلّ السمع والعقل على أن الله بائن من خلقه ولا يحل في شيء من خلقه ولا يحل فيه شيء من خلقه، وأجمع السلف على ذلك.

ثانياً: أن البينية لا تستلزم المباشرة والمماسة فيما بين المخلوقات كقوله تعالى: {وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [البقرة: ١٦٤] ، فإن السحاب لا يباشر السماء ولا الأرض فكيف البينية فيما بين المخلوق والخالق الذي وسع كرسيه السموات والأرض.

ونقول على الوجه الثاني: إن ثبوت الأصابع الحقيقية لله تعالى لا يستلزم معنى فاسداً فإن لله تعالى أصابعاً تليق به عز وجل، ولا تماثل أصابع المخلوقين [٥٤]

وفي مسائل ابن باز (ص: ٣٧) :

(٣٦) - سألت شيخنا عن حديث إثبات الأصابع لله، هل هو للحصر، وأن الأصابع خمس؟

الجواب: نعم؛ لأن الأصابع استوعبت الخلائق؛ "وسائر الخلق على إصبع" .

قلت: جاء في الحديث لفظ «قلوب»، والسؤال هو: أي قلب هو؟ هل هو تلك قطعة اللحم التي في جانب الصدر الأيسر؟ أم أن هناك قلب آخر؟ إذا كان المقصود هو

٥٤ شرح الرسالة التدمرية (ص: ٢٤٣) .

القلب الصنوبري فالحقيقة والواقع يكذبه، لأن قلب المرء في صدره لم نشاهد يوماً أنه بين أصبعين، وإذا كان قلب آخر فيحمل على المجاز، لأن المعنى تجاوز الحقيقة، وبالتالي يكون الإصبع مجازا، وإذا كان مجازا فله معنى يليق بالله وهو ما جاء في نهاية الحديث وهو قوله: يصرفه حيث يشاء، والتصريف يكون بقدرة الله وإرادته، والقرينة من لفظ الحديث؛

فقوله: يشاء، أي يريد، فالمشيئة والإرادة مترادفتان، فهذا هو الإصبع الأول، والإصبع الثاني هو قدرته، لأن الذ ي يملك الإرادة، ولا يملك القدرة لا يستطيع تنفيذ إرادته، فمعنى الحديث: قلوب بني آدم بين قدرة الله وإرادته، يصرفها حيث يريد .

وليس هذا تأويلاً وإنما هو من منطوق الحديث .

قولهم: بالرُّكبة :

يقول الدارمي المجسِّم: "يَقُولُ دَاوُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَدْنِنِي، فَيُقَالُ لَهُ: ادْنُهْ، فَيَدْنُوَ حَتَّى يَمَسَّ رُكْبَتَهُ" فَادَّعَى الْمُعَارِضُ أَنَّ تَأْوِيلَهُ: أَنَّهُ يُدْنِيهِ إِلَى خلق من خَلْقِهِ، ذِي رُكْبَةٍ حَتَّى يَمَسَّ رُكْبَةُ دَاوُدَ رُكْبَةَ ذَلِكَ، قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَيْهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

فَلَوْ كَانَ لِهَذَا الْمُعَارِضِ مَنْ يَقْطَعُ لِسَانَهُ كَانَ قَدْ نَصَحَهُ، وَيْلَكَ! أَيُّ زِنْدِيقٍ تَرْوِي عَنْهُ هَذِهِ التَّفَاسِيرَ وَلَا تُسَمِّيهِ؟ وَأَيُّ دَرَكٍ لِدَاوُدَ إِذَا اسْتَغْفَرَ اللَّهَ لِذَنْبِهِ، وَلَجَأَ إِلَيْهِ وَاسْتَعَاذَ بِهِ فِي أَنْ يُدْنِيَهُ إِلَى خَلْقٍ سِوَاهُ، فَيَمَسَّ رُكْبَتَهُ وَمَا يُجْزِئُ عَنْ دَاوُدَ رُكْبَةُ ذَلِكَ الْمَخْلُوقِ الَّذِي إِذَا مَسَّ دَاوُدُ النَّبِيُّ رُكْبَتَهُ غَفَرَ ذَنْبَهُ، وَآمَنَ رَوْعَتَهُ، إِنَّ ذَلِكَ خَلْقٌ كَرِيمٌ عَلَى رَبِّهِ أَكْرَمُ مِنْ دَاوُدَ وَمِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ فِي دَعْوَاكَ، إِذْ جَعَلَهُ مَفْزَعًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَمُعَوَّلًا عَلَيْهِ فِي ذُنُوبِهِمْ، يَحْكُمُ عَلَى اللَّهِ فِي مَغْفِرَتِهِ، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَة دون الله!! ولا بد لِمِثْلِ هَذَا الْخَلْقِ أَنْ يَكُونَ سَبَقَ لَهُ مِنَ اللَّهِ اسْمٌ

فِي الْمَلَائِكَةِ أَوْ فِي النَّبِيِّينَ، فَمَا اسْمُهُ أَيُّهَا الْجَاهِلُ؟ لَوْ تَكَلَّمَ بِهَذَا شَيْطَانٌ، أَوْ مُدْمِنُ خَمْرٍ سَكْرَانَ، مَا زَادَ عَلَيْكَ جهلا. فَكيف إِنْسَان؟ .

قال أبو يعلى المجسم: إذا كان يوم القيامة يذكر داود ذنبه فيقول الله، عَزَّ وَجَلَّ، له: كن أمامي، فيقول: رب ذنبي، فيقول الله: كن خلفي فيقول: رب ذنبي ذنبي، فيقول الله له: خذ بقدمي، وفِي قوله، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ ، قَالَ: إن الله، عَزَّ وَجَلَّ، ليقرب داود حتى يضع يده عَلَى فخذه يَقُول: أدن منا أزلفت لدينا.

أعلم أنه غير ممتنع حمل هَذَا الخبر عَلَى ظاهره إذ ليس فيه ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه لأنا لا نثبت قدماً وفخذاً جارحة ولا أبعاضا، بل نثبت ذَلِكَ صفة كما أثبتنا الذات والوجه واليدين [٥٥] .

قلت: إن هذا الخبر باطل من حيث المتن، ومن حيث السند، أما من حيث المتن فهو مخالف للمحكم ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، وفيه من التجسيم ما ننزه الحق تعالى عنه، وأما من حيث السند؛ فالأثر موقوف على مجاهد لم يرفعه للنبي ﷺ فلا يحتج به خاصة أنه في العقيدة .

قولهم: كلتا يديه يمين:

يأخذ الوَهابيَّة بظاهر الحديث: «وكلتا يديه يمين» ، ولكنهم لم يُصحوا هل اليدان على الجانب الأيمن فقط، أم هما على الجانبين؟ لكن اليد التي في الشمال لا يقال عنها يمين، وإن كانتا على الجانب الآيمن، فما أقبح تلك الصورة، حيث تكون يدان في اليمين، والشمال خال من اليد .

قال ابن باز:

٥٥ إبطال التأويلات (ص: ٢٠٦، رقم:١٩٥) .

(س: ٨٠): ما موقفنا من حديث ابن عمر موقوفاً عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الله، أين الجبارون، أين المتكبرون؟» وكيف يجمع بينه وبين قوله ﷺ: «إن كلتا يديه يمين » ؟

ج: كلها أحاديث صحيحة عند علماء السنة، وحديث ابن عمر مرفوع صحيح، وليس موقوفاً وليس بينها اختلاف بحمد الله، فالله سبحانه توصف يداه باليمين والشمال من حيث الاسم، كما في حديث ابن عمر وكلتاهما يمين مباركة من حيث الشرف والفضل، كما في الأحاديث الصحيحة الأخرى [٥٦] .

قولهم بالجوارح:

قال ابن عثيمين: قلنا: إن الله عز وجل له وجه وله عين وله يد وله رجل عز وجل، لكن لا يلزم من أن تكون هذه الأشياء مماثلة للإنسان، فهناك شيء من الشبه لكنه ليس على سبيل المماثلة، كما أن الزمرة الأولى من أهل الجنة فيها شبه من القمر لكن بدون مماثلة، وبهذا يصدق ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة؛ من أن جميع صفات الله سبحانه وتعالى ليست مماثلة لصفات المخلوقين، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل [٥٧] .

٥٦ مجموع فتاوى ابن باز (٢٥/ ١٢٦) .

٥٧ مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٨/ ٨٩) :

قولهم بالحركة والسكون:

يقول الدارمي المجسم: لِأَنَّ الْحَيَّ الْقَيُّومَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَتَحَرَّكُ إِذَا شَاءَ، ويهبط ويرتفع إذا شَاءَ، وينقبض وَيَبْسُطُ وَيَقُومُ وَيَجْلِسُ إِذَا شَاءَ؛ لِأَنَّ أَمَارَةُ مَا بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ التَّحَرُّكَ، كُلُّ حَيٍّ مُتَحَرِّكٌ لَا مَحَالَةَ، وَكُلُّ مَيِّتٍ غَيْرُ مُتَحَرِّكٍ لَا مَحَالَةَ [٥٨].

قال ابن تيمية: والأئمة الذين يقولون إن الله لم يزل متكلما إذا شاء، ويقولون إن الفعل من لوازم الحياه، فإن كل حي فعال، بل يصرح غير واحد منهم بأن كل حي متحرك، كما صرح بهذه المعاني من صرح بها من أئمة السلف والسنة والحديث [٥٩]

قولهم بالكلام والسكوت:

يعني كحال الآدميين، إذا أراد أحدهم الكلام تكلم، وإذا أراد أن يسكت سكت، وهم يعتقدون ذلك في الله تعالى .

قال ابن تيمية: وَنَحْنُ لَا نَقُولُ كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامٍ قَدِيمٍ وَلَا بِكَلَامٍ مَخْلُوقٍ، بَلْ هُوَ سُبْحَانَهُ يَتَكَلَّمُ إِذَا شَاءَ، وَيَسْكُتُ إِذَا شَاءَ [٦٠].

قولهم: إن الله يتكلم بالعربية:

صرح ابن تيمية إن الكلام صفة كمال لله، وأن من قدرته أن يتكلم بأي لغة شاء ومنها العربية، قال في مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢): فتبين أن الرب لم يزل ولا يزال

٥٨ نقض الدارمي على المريسي (١/ ٢١٥) .

٥٩ الصفدية (١/ ٥٢) ، درء تعارض العقل والنقل (٢/ ٥١)، مجموع الفتاوى (٨/ ٢١) .

٦٠ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٤٦) ، مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢٩)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا (٣/ ١٤٩) .

موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال؛ ومن أجلها الكلام. فلم يزل متكلما إذا شاء ولا يزال كذلك وهو يتكلم إذا شاء بالعربية كما تكلم بالقرآن .

قولهم: بصفة الأجزاء :

قال أبو يعلى المجسم: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: " إن اللَّه تبارك وتعالى إِذَا أراد أن يخوف أهل الأرض أبدى عَن بعضه، وإذا أراد أن يدمر عليهم تجلى لَهَا "أما قوله: " أبدى عَن بعضه " فهو عَلَى ظاهره، وأنه راجع إِلَى الذات إذ ليس فِي حمله عَلَى ظاهره مَا يحيل صفاته، وَلا يخرجها عما تستحق فإن قِيلَ: بل فِي حمله عَلَى ظاهره مَا يحيل صفاته، لأَنَّهُ يستحيل وصفه بالكل والبعض والجزء، فوجب حمله عَلَى إباء بعض آياته وعلاماته تحذيرا ونذيرا [٦١] .

وقال ابن أبي العز: تجلى بعض الذات للجبل، فلم يصبر ذلك الجبل [٦٢] .

قولهم بالظل :

ولا يكون الظل إلا لجسم له حيز، ويصفون الله بأن له ظل، يعني أنه جسم يشغل حيزاً، وفي سؤال لابن باز عن الظل فأجاب:

س: في حديث السبعة الذين يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله، فهل يوصف الله تعالى بأن له ظلا؟

٦١ إبطال التأويلات (ص: ٣٤١) .

٦٢ شرح العقيدة الطحاوية، بتعليق عبد الله الجبرين، (ص:٢٠٨) .

ج: نعم كما جاء في الحديث، وفي بعض الروايات «في ظل عرشه » لكن في الصحيحين "في ظله"، فهو له ظل يليق به سبحانه لا نعلم كيفيته مثل سائر الصفات [٦٣].

قولهم بالتوجع:

ويعتبرونها صفة لله تعالى، والتوجع هو الشعور بالألم سواءكان حسيا أو معنويا، وهي صفة قهرية تنبئ عن ضعف المتألم ونقصه، إذ لو كان كاملاً في ذاته لأذهب عنه هذه الصفة، بل أذهبها قبل أن تحل به، ولكن الوَهابيَّة أبوا إلا أن يقفوا مع ظاهر النصوص، بغض النظر هل فيه تنقيص لله أو لا

قال السعدي: قال الله متوجعا للعباد: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: ما أعظم شقاءهم، وأطول عناءهم، وأشد جهلهم، حيث كانوا بهذه الصفة القبيحة، التي هي سبب لكل شقاء وعذاب ونكال" [٦٤] .

أذية الله:

يعتبر الوَهابيَّة أذية الله تعالى صفة ثابتة لله كونه أثبتها لنفسه، لذلك يقول:

ابن عثيمين: قوله: " يؤذيني ابن آدم ": أي: يلحق بي الأذى; فالأذية لله ثابتة، ويجب علينا إثباتها; لأن الله أثبتها لنفسه، فلسنا أعلم من الله بالله، ولكنها ليست كأذية المخلوق [٦٥] .

٦٣ مجموع فتاوى ابن باز (٢٨/ ٤٠٢) .

٦٤ تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٩٥) .

٦٥ القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٢٤٤) .

عقيدة الحدِّ :

أي أن لله جسم له حجم معين، ينتهي بحد، وله حدان، الحد الأول من جهة اليمين، والثاني من جهة اليسار، والحد عندنا نسميه الجنب، وهو حد جسم الإنسان، وهذه العقيدة يعتقدها الوَهابيَّة، وأسلافهم من المجسمة، نقل ابن تيمية عن الدارمي المجسم مقراً له: والله تعالى له حد لا يعلمه غيره ، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه، ولكن نؤمن بالحد ونكل علم ذلك إلى الله تعالى، ولمكانه أيضاً حد، وهو على عرشه فوق سمواته، فهذان حدان اثنان [٦٦] .

يعني: أن ربهم له حد، فإذا انتهى الحد انتهت ذات الله، وكونه جالساً على، فالعرش أيضاً له حد، فهذان حدان اثنان، حد لله، وحد للعرش .

قولهم: بنزول الرب إلى الأرض:

يعتقد الوَهابيَّة، ومن سبقهم من أئمة المجسمة؛ أن الله جسم، ومن لوازم الجسم الحركة والسكون، والتنقل من مكان إلى آخر، فيعتقد الوَهابيَّة أن الله ينزل كل ليلة من العرش إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، كما أنه ينزل من عرشه إلى الأرض بعد النفخة في الصور، فيقدم بجولة يتفقد فيها هل بقي أحد لم يمت.

يقول ابن القيم: ثُمَّ تُبْعَثُ الصَّائِحَةُ، فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا تَدَعُ عَلَى ظَهْرِهَا شَيْئاً إِلَّا مَاتَ، وَالْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ مَعَ رَبِّكَ، فَأَصْبَحَ رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَطُوفُ فِي الْأَرْضِ وَخَلَتْ عَلَيْهِ الْبِلَادُ [٦٧] . وقد علق عليه ابن القيم بقوله: هَذَا حَدِيثٌ كَبِيرٌ جَلِيلٌ تُنَادِي جَلَالَتُهُ وَفَخَامَتُهُ وَعَظَمَتُهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ .

٦٦ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٢/ ٦٠٥) .

٦٧ زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٥٨٩)، عند كلامه على وفد بني المنتفق .

قال الذهبي [٦٨] : ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَها فَسَوَّاهَا...﴾ الآيَاتُ، فَإِنَّهُ خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ قبل خلق السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ فِي يَوْمَيْنِ آخَرَيْنِ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ فَدَحَاهَا .

قَالَ: وَدَحْيُهَا أَنْ أَخْرَجَ مِنْهَا الْمَاءَ وَالْمَرْعَى، والحديث أخرجه البخاري .

قلت: ولكن الزيادة «نزل إلى الأرض فدحاها» ليست عند البخاري، قال الألباني محقق الكتاب: هذه الزيادة صحيحة .

وهذا الكتاب «العلو» من تصنيف الذهبي في بداية حياته العلمية، كان متأثراً بابن تيمية، لكن لما ظهرت له حقيقته تركه، وترك التجسيم، واعتمد مذهب الأشاعرة في العقيدة، والمذهب الشافعي في الفقه، وإنما نقلت كلامه هنا لأن الوَهابيَّة لهم عناية بهذا الكتاب، فحققه الألباني، ونشره في أبناء مذهبه .

(قولهم) بجلوس الرب على العرش:

يعتقد الوَهابيَّة، ومن سلفهم من أئمة المجسمة أن الله جالس على العرش، فوق السماء، وقد دلى رجليه على الكرسي، حيث يقولون: إنه موضع قد الرب، ويعتقدون أيضاً أن الله تعالى سيُجلس نبيه محمداً ﷺ بجانبه على العرش، وقد أخلى له مكان أربعة أصابع، ويقولون: إن هذا هو المقام المحمود الذي وعده الله .

قال الدارمي المجسم: "أَتَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَعَظَّمَ الرَّبَ. فَقَالَ: إِنَّ كُرْسِيَّهُ وَسِعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَإِنَّهُ لَيَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَمَا يَفْضُلُ

٦٨ العلو للعلي الغفار (ص: ٥٦) .

مِنْهُ إِلَّا قَدْرُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ، وَمَدَّ أَصَابِعَهُ الْأَرْبَعَ، وَإِن لَهُ أطيطاً الرحل الْجَدِيد إِذْ رَكبه من يثقله" [٦٩] .

قال ابن تيمية: إن علو الله على العرش معلوم بالفطرة الضرورية، وقد تواطأت عليه الآثار النبوية، واتفق عليه خير البرية، ويقولون نفي ذلك تعطيل للصانع، معلوم بالضرورة العقلية [٧٠] .

قال الذهبي: قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري، فإنه قال: "في أخبار شتى إن الله في السماء السابعة، على العرش بنفسه [٧١] .

قال ابن عثيمين: ولكن المراد أنه هو نفسه عز وجل فوق سماواته على العرش استوى، ولذلك نجد أن المسألة فطرية لا تحتاج إلى دراسة وتعب حتى يقرّ الإنسان أن الله في السماء، بمجرد الفطرة يرفع الإنسان يديه إلى ربه إذا دعا ويتجه قلبه إلى السماء، واليد ترفع أيضاً نحو السماء، بل حتى البهائم ترفع رأسها إلى السماء، حدثني أحد الأساتذة في الجامعة عندنا عن شخص اتصل عليه من القاهرة إبان الزلزلة التي أصابت مصر يقول: إنه قبل الزلزلة بدقائق، هاجت الحيوانات في مقرها الذي يسمونه: «حديقة الحيوانات» هاجت هيجاناً عظيماً، ثم بدأت ترفع رأسها إلى السماء.

سبحان الله!! بهائم تعرف أن الله في السماء، وأوادم من بني آدم ينكرون أن الله في السماء والعياذ بالله، فالبهائم تدري وتعرف [٧٢] .

٦٩ في نقضه على المريسي (١/ ٤٢٦) .

٧٠ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٨٨) .

٧١ العرش للذهبي (٢/ ٤٣٧) .

٧٢ شرح رياض الصالحين (٣/ ١٤٣) .

قال ابن باز: ولا شك أن من أنكر أن الله في السماء فهو جهمي ضال، كافر مكذب لقول الله تعالى: ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ وما جاء في معناها من الآيات والأحاديث الصحيحة عن رسول الله ﷺ [٧٣] .

قال ابن تيمية: لأن الشرائع كلها مبنية على أنَّ الله في السماء، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأنَّ من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى قال: وجميع الحكماء: قد اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت [جميع] الشرائع على ذلك، والشبهة التي قادت نفاة الجهمية إلى نفيها؛ هي أنهم اعتقدوا أن إثبات الجهة يوجب إثبات المكان، وإثبات المكان يوجب إثبات الجسمية، ونحن نقول: إن هذا كله غير لازم [٧٤] .

وقال : ثم رفع العرش فاستوى عليه، فما في السموات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرّحل العُلا في أول ما يرتحل من ثُقل الجبار فوقهن .

وهذا الأثر وإن كان في رواية كعب فيحتمل أن يكون من علوم أهل الكتاب، ويحتمل أن يكون مما تلقاه عن الصحابة، ورواية أهل الكتاب التي ليس عندنا شاهد الأئمة، وقد حدثوا به هم وغيرهم، ولم ينكروا ما فيه من قوله: "من ثقل الجبار فوقهن" فلو كان هذا القول منكراً في دين الإسلام عندهم لم يحدثوا به على هذا الوجه [٧٥] .

٧٣ مجموع فتاوى ابن باز (٩/ ٣١٥) .

٧٤ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ١٥٩) .

٧٥ المصدر السابق: (٣/٢٦٨) .

قلت: لقد زاد ابن تيمية وأسس لأتباعه عقيدة جديدة وهي: خضوع الرب للجاذبية، ومعلوم عند علماء الفيزياء: أن وزن الجسم أو الكتلة هي في الحقيقة مقدار جاذبية الأرض له، وتتناسب تناسباً طرديا مع الكثافة .

فقوله: إن السماء لها أطيط: أي لها صوت كصوت رحل الجمل إذا حُمِّل عليه شيء ثقيل، وسبب هذا الأطيط هو ثُقل ربهم، فتصدر السماء أطيطاً قوياً من شدة الجاذبية الأرضية لربهم، فجعل ربه مقهوراً لجاذبية الأرض، فالأرض تحاول جذبه إليها، والسماء تمنع ذلك وتقاومه، حتى أنها لشدة المقاومة تصدر أطيطاً من ثقل رب الوَهابيَّة وابن تيمية , تعالى الله عن ذلك .

وبمثل هذا صرح ابن القيم أيضاً : انظر اجتماع جيوشه (ص:١٩٥) .

قال الدارمي المجسم: مَنْ أَنْبَأَكَ أَنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ لَيْسَ بِأَقْرَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ أَسْفَلِهِ؟؛ لِأَنَّهُ مَنْ آمَنَ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلِمَ يَقِيناً أَنَّ رَأْسَ الْجَبَلِ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَسْفَلِهِ، وَأَنَّ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ أَقْرَبُ إِلَى عَرْشِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ السَّادِسَةِ، وَالسَّادِسَةَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنَ الْخَامِسَةِ، ثُمَّ كَذَلِكَ إِلَى الْأَرْضِ ، وعَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ قَالَ: "رَأْسُ الْمَنَارَةِ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَسْفَلِهِ وَصَدَقَ ابْنُ الْمُبَارَكِ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ إِلَى السَّمَاءِ أَقْرَبُ كَانَ إِلَى اللَّهِ أَقْرَبَ [٧٦] .

قال ابن تيمية: فَصَارَتْ الْجَهْمِيَّةُ الَّذِينَ يَنْفُونَ عَنْ اللَّهِ الْجِهَةَ وَالْحَيِّزَ، مَقْصُودُهُمْ أَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ، وَلَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ إلَهٌ [٧٧] .

٧٦ النقض على بشر المريسي (ص: ٥٠٤) .

٧٧ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٤٥) .

وقال: وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا فِي كَلَامِ أَحَدٍ مِنْ سَلَفِ الْأُمَّةِ، مَا يَدُلُّ نَصّاً وَلَا اسْتِنْبَاطاً عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ فَوْقَ الْمَخْلُوقَاتِ، وَأَنَّهُ مَا فَوْقَ الْعَالَمِ رَبٌّ يُعْبَدُ، وَلَا عَلَى الْعَرْشِ إلَهٌ يُدْعَى وَيُقْصَدُ[٧٨]

وقال: والبارئ سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة[٧٩]

عقيدة الحية:

أورد أبو الشيخ حديثاً فيه: «إِنَّ الْعَرْشَ مُطَوَّقٌ بِحَيَّةٍ، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ فِي السَّلَاسِلِ»[٨٠].

وأورده الذهبي في «العلو» ، قال الألباني في تعليقه: والحديث صحيح .

قلت: إن الوَهابيَّة يصححون الأحاديث الواهية لنصرة مذهبهم، وهذا الحديث هو من مرويات عبد الله بن عمرو عن أهل الكتاب، وليس حديثاً ينسب إلى النبي ﷺ.

إن مما قرره العلماء: أن الصحابي إذا كان ينظر في الإسرائيليات لا يعطى حديثه حكم الرفع، أي لا تصح نسبته إلى النبي ﷺ وعبد الله بن عمرو حضر معركة اليرموك، وقد تحصل له من كتب أهل الكتاب حمل دابتين، فكان يحدِّث الصحابة منها، حتى قيل له: حدثنا عن رسول الله ولا تحدثنا عن هذه الصحيفة[٨١] .

٧٨ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٥٢) .

٧٩ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (١/ ٣٩٠) .

٨٠ العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (٢/ ٥٥٣) .

٨١ النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٥٣٣)، البداية والنهاية ط إحياء التراث (٢/ ١٢٧)

التدليس عند الوَهابيَّة:

من المجمع عليه عند المجسمة خلفاً وسلفا جواز الكذب على الخصم لنصرة المذهب، وابن القيم هو تلميذ ابن تيمية، وناشر علمه وكتبه، يدلس ويكذب على أبي بكر لنصرة مذهبه التجسيمي، يروي كلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما دخل على النبي ﷺ وهو مسجى بعد وفاته، فقبَّله بين عينيه وقال: بأبي أنت وأمي، طبت حياً وميتا، ثم خرج إلى الناس وعمر يتكلم عليهم فقال: على رسلك يا عمر، فأنصت الناس إلى أبي بكر فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ [٨٢] ولكن ابن القيم زاد كلمة: فإن الله في السماء حي لا يموت ، ليثبت أن الله في السماء، وقد عزا هذه الزيادة إلى التاريخ الكبير للبخاري[٨٣] ، ولكنه لم ينقل لنا تعليق البخاري هناك حتى يوهم الناس أن الرواية صحيحة حيث رواها البخاري، ولكن البخاري قال: مرسل، أي أن الأثر لم يروه صحابي، والمرسل من أقسام الضعيف حيث أُسقط الصحابي من سلسلة رواة الحديث، والضعيف إذا عارض الصحيح يكون الأثر منكراً ، وهذا الأثر رواه البخاري نفسه في صحيحه بدون زيادة: «في السماء» .

مختصر الصواعق: وهذا الكتاب اختصره أحد أئمة المجسمة هو: محمد الموصلي، نص في مختصره على أن الله مستوٍ على العرش بذاته، وقد نص على أن هذا هو إجماع

٨٢ صحيح البخاري (٥/ ٧، رقم:٣٦٦٨) .

٨٣ اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١١٩)، التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل (١/ ٢٠١، رقم الترجمة:٦٢٣) مُحَمد بْن عِمران، وقال البخاري هناك: التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل (١/ ٢٠١) يروي عَنْ أَبيه، عَنِ ابْن أَبي لَيلَى، عَنِ الشَّعبِيِّ، عَنْ عَبد اللهِ، وزَيد؛ فِي الفرائض. مُرسَلٌ .

السلف، وممن ذكره من العلماء أنه قال بذلك: ابن أبي زيد القيرواني في رسالته، وإليك كلام ابن أبي زيد: " ... على العرش استوى وعلى الملك احتوى وله الأسماء الحسنى" [٨٤] . وقد ذكر عن غيره من علماء المالكية، وبعد البحث لم أجد من قال بذلك، لكنه التدليس حتى يوهموا الناس أن الإجماع منعقد على كذبهم وتدليسهم، لعلمهم أنه ليس بوسع أي واحد يكشف كذبهم، وقد كذبه غير واحد من الوَهابيَّة .

قال طارق عوض الله: سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين: هل سبق أحد شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في أن المعية حقيقية تليق بالله، ينزه فيها الباري عن أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالّاً في أمكنتهم، وعن حديث: «وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل...» وعن قول ابن القيم في «الصواعق» مختصرها فهو قريب من المحسنين بذاته، هل هو صحيح، وهل سبقه أحد في ذلك؟ فأجاب فضيلته بقوله:
لا أعلم أحداً صرح بذلك، لكن الذي يظهر أن الكلام فيها كغيرها من الصفات، تفهم على حقيقتها مع تنزيه الله تعالى عما لا يليق به، كما يفهم الاستواء والنزول وغيرهما، ولهذا لم يتكلم الصحابة ـ فيما أعلم ـ بلفظ «الذات» في الاستواء والنزول، أي لم يقولوا: استوى على العرش بذاته، أو ينزل إلى السماء بذاته ... لكن لما حدث تحريف معنى الاستواء والنزول احتاجوا إلى توكيد الحقيقة بذكر الذات [٨٥]

٨٤ الرسالة للقيرواني (ص: ٥) .

٨٥ كتاب التوحيد (ص:١٢٦) .

الاستقرار على ظهر البعوضة:

هكذا يعتقد سلف الوَهابيَّة من أئمة التجسيم، أن ربهم يستطيع الجلوس على ظهر بعوضة، قال الدارمي:

وَقَدْ بَلَغَنَا أَنَّهُمْ حِينَ حَمَلُوا الْعَرْشَ وَفَوْقَهُ الْجَبَّارُ فِي عِزَّتِهِ، وَبَهَائِهِ ضَعُفُوا عَنْ حَمْلِهِ وَاسْتَكَانُوا، وَجَثَوْا عَلَى رُكَبِهِمْ، حَتَّى لُقِّنُوا "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ" فَاسْتَقَلُّوا بِهِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ. لَوْلَا ذَلِكَ مَا اسْتَقَلَّ بِهِ الْعَرْشُ، وَلَا الْحَمَلَةُ، وَلَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَلَا مَنْ فِيهِنَّ. وَلَوْ قَدْ شَاءَ لَاسْتَقَرَّ عَلَى ظَهْرِ بَعُوضَةٍ فَاسْتَقَلَّتْ بِهِ بِقُدْرَتِهِ وَلُطْفِ رُبُوبِيَّتِهِ، فَكَيْفَ عَلَى عَرْشٍ عَظِيمٍ أَكْبَرَ مِنَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعِ [٨٦]. وبهذا القول قال ابن تيمية الحراني [٨٧] وزاد: فيقال لهذا البَقْبَاق النفاخ إن الله أعظم من كل شيء وأكبر من كل خلق، ولم يحمله العرش عِظَمًا ولاقوة، ولا حملة العرش حملوه بقوتهم ولا استقلوا بعرشه ولكنهم حملوه بقدرته .

قلت: وأنا أقول لهذا الشيخ الحراني وسلفه من أئمة التجسيم: إذا العرش على اتساعه لم يستطع أن يقل ربك، فكيف بمخلوق ضعيف كالبعوضة تقله؟؟ وما هو هذا الرب الذي يستقر على ظهر بعوضة، أرغبْتَ عن إلهٍ عبده الأنبياء والرسل، له الكمال المطلق، ومن كماله أنه تنزه عن المكان، إلى رب يستقر على ظهر بعوضة؟؟

عقيدة الجلوس بجانب الله:

يعتقد أئمة التجسيم أن النبي ﷺ له المقام المحمود، أما أهل السنة فقالوا: هي الشفاعة الكبرى يوم القيامة، حيث يشفع في الخلق من هول الموقف، ثم بعدها يبدأ

٨٦ النقض على المريسي (١/ ٤٥٨) .

٨٧ التأسيس في رد أساس التقديس" (٥٦٨/١)، بيان تلبيس الجهمية (٣/ ٢٤٣)،

حساب العباد، فيعرف الناس هناك قدر رسول الله ﷺ أما المجسمة الذين لا يعرفون تأويلاً ولا مجازاً في لغة العرب بل قالوا بمثل قول النصارى، فقالت النصارى أن الله أقعد المسيح عن يمينه، وأما المجسمة فقالوا أن الله يُجلس نبيه محمداً ﷺ بجانبه على العرش يوم القيامة، وقد أخلى له بمقدار أربعة أصابع، فسيدنا عيسى[٨٨] عليه السلام جلس عن يمينه في الدنيا، وسيدنا رسول الله ﷺ سيجلسه في الآخرة.

قال الخلال: عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ [الإسراء: ٧٩] قَالَ: «يُقْعِدُهُ عَلَى الْعَرْشِ». فَسَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ وَاصِلٍ، قَالَ: مَنْ رَدَّ حَدِيثَ مُجَاهِدٍ فَهُوَ جَهْمِيٌّ [٨٩] قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَنْ رَدَّهُ فَقَدْ رَدَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ كَذَّبَ بِفَضِيلَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ [٩٠]. قال أَحْمَدُ بْنُ أَصْرَمَ الْمُزَنِيُّ: «مَنْ رَدَّ هَذَا فَهُوَ مُتَّهَمٌ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ عِنْدَنَا كَافِرٌ، وَزَعَمَ أَنَّ مَنَ قَالَ بِهَذَا فَهُوَ زِنْدِيقٌ يُقْتَلُ» [٩١].

قال أبو يعلى المجسم: يجلسه معه على السرير [٩٢].

قال ابن القيم[٩٣]: ومن شعر أبي الحسن الدارقطني:

حَدِيث الشَّفَاعَة عَن أَحْمد إِلَى أَحْمـد الْمُصْطَفى مُسْنده

٨٨ إنجيل مرقس (١٦: ١٩) بلفظ: ثم ان الرب بعدما كلمهم ارتفع الى السماء و جلس عن يمين الله.

٨٩ السنة لأبي بكر بن الخلال (١/ ٢١٤، رقم: ٢٤٣).

٩٠ (١/ ٢١٥، رقم: ٢٤٦).

٩١ (١/٢١٥، رقم: ٢٤٧).

٩٢ الاعتقاد (ص: ٣٠).

٩٣ بدائع الفوائد (٣٩/٤).

وَجَــاء الحَدِيث بـإقعــاده على الْعَرْش أَيْضا فَلَا نجحده
أمـرِّوا الحَدِيث على وَجـهه وَلَا تُـدْخلُوا فِيهِ مَا يُفْسِدهُ
وَلَا تنكــروا أَنـه قَـاعــدٌ ولاتُـنكـروا أَنـه يُـقعــده

قلت: إن من الإرهاب الفكري الذي انتهجه المجسمه إطلاق الأحكام العشوائية على المخالف لهم في الفكر والعقيدة، فكما رأينا أحكامهم على من أنكر جلوس المصطفى على العرش يوم القيامة بأنه؛ جهمي، ضال، زنديق، يجب قتله، كافر بالله العظيم، منكر لفضيلة النبي ﷺ ... الخ تلك النعوت.

والتحقيق أن هذه العقيدة هي خرافة من جملة خرافاتهم التي نقلوها عن أهل الكتاب، ولا تصح نسبتها إلى النبي ﷺ ولا إلى أحد من أصحابه، وإنما هي من الأقوال التي نقلوها عن مجاهد، ومن المعلوم أن مجاهد مع سعة علمه إلا أنه كان شغوفاً بالغرائب، وهذه منها .

قَالَ أَبُو الْفرج بن الْجَوْزِيّ: قالت عائشة: سُئِلَ رَسُول الله ﷺ عَن الْمقَام الْمَحْمُود فَقَالَ ﷺ : «وَعَدَنِي رَبِّي عز وَجل بالقعود على الْعَرْش» . هَذَا حَدِيث لَا يَصح عَن رَسُول الله، وَقَالَ ابْن عمر : ﴿وَإِن لَهُ عندنَا لزلفى وَحسن مآب﴾ قَالَ: ذكر الدنو مِنْهُ حَتَّى يمس بعضه . وَهَذَا كذب على ابْن عمر [٩٤] .

قال الذهبي: في قوله تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مقَاما مَحْمُوداً﴾ قَالَ ﷺ: «يُجْلِسُنِي عَلَى الْعَرْشِ» هَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ لَا يُفْرَحُ بِهِ، وَسَلَمَة هَذَا مَتْرُوك الحَدِيث، وَأَشْعَث لَمْ يَلْحَقْ ابْنَ مَسْعُودٍ [٩٥] .

٩٤ دفع شبه التشبيه، الحديث رقم: (٣٩) .

٩٥ العلو للعلي الغفار (ص: ٩٣، رقم:٢٢٢) .

أما ما نقله ابن القيم عن الدارقطني فأقول:

إن ابن القيم مقرٌّ لهذه العقيدة، حيث سار على خطى أسلافه من أئمة المجسمة، فنقلها وَقد نَسَبهَا فِي كِتَابه بَدَائِع الْفَوَائِد إِلَى الدَّارَقُطْنِيّ وَلم يذكر بطلَان تِلْكَ النِّسْبَة .

قال الألباني: أنبأني أحمد بن سلامة عن يحيى بن يوش أنبأنا ابن كادش أنشدنا أبو طالب العشاري، أنشدنا الدارقطني رحمه الله تعالى:

حديث الشفاعة في أحمد ... فهذا إسناد لا يصح، من أجل أبي العز هذا، فقد أورده ابن العماد في وفيات سنة (٥٢٦) من " الشذرات " (٤ / ٧٨) وقال: " قال عبد الوهاب الأنماطي: كان مخلطا " [٩٦] .

قلت: ذكر الذهبي حديثاً عن فضل يوم عاشوراء، وفيه العشاري فقال: فقبح الله من وضعه، والعتب إنما هو على محدثي بغداد كيف تركوا العشارى يروي هذه الاباطيل [٩٧] ثم قال في نهاية الترجمة: ليس بحجة .

وفي ترجمة ابن كادش قال الذهبي: قال ابن النّجّار: كان مخلّطًا كذّابًا لَا يُحْتَجّ به، قرأت بخطّ عمر بن علي القُرَشيّ القاضي: سمعت أبا القاسم عليّ بن الحسن الحافظ يقول: قال لي أبو العزّ بن كادش: وضع فلان حديثاً في حقّ علي، ووضعت أنا حديثاً في حقّ أبي بكر، بالله أليس فعلت جيّدًا؟

٩٦ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٢/ ٢٥٦) .

٩٧ ميزان الاعتدال (٣/ ٦٥٦) .

قال ابن النّجّار: رأيت لأبي العز كتابًا سماه " الانتصار لرتم القِحاب " على نظم جماعةٍ من الشُّعراء يقول فيه: أنشدَتْني فُلانة المغنّية، وأنشدتني ستّوت المغنية [٩٨]. **قُلْتُ**: هَذَا يَدُلُّ عَلَى جَهله، يَفتخِرُ بِالكَذِبِ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ ﷺ [٩٩] . انتهى كلام الذهبي

قلت: من كذب على رسول الله ﷺ يسهل عليه الكذب على غيره، سواء كان الدارقطني أو غيره .

عقيدة الاتكاء أو الاستلقاء :

لما تخيل المجسمة أن ربهم بصورة البشر، وله من الأعضاء ما للبشر، غير أنهم غيروا تسميتها إلى صفات بدل أعضاء، قالوا عن ربهم أنه يستلقي على ظهره، كما يصنع أحدنا إذا مسه الإعياء والتعب .

قال أبو يعلى المجسم: وروى أن قتادة بن النعمان دخل عَلَى أَبِي سعيد يعوده فوجده مستلقياً رافعاً رجله اليمنى عَلَى اليسرى، فقرص النعمان رجل أَبِي سعيد قرصةً شديدة، فقال أَبُو سعيد: سبحان الله يا ابن أخي أوجعتني! قَالَ: ذاك أردت، إن رسول الله ﷺ قَالَ: " إن الله لما قضى خلقه استلقى ثم رفع إحدى رجليه عَلَى الأخرى، ثم قَالَ: لا ينبغي لأحد من خلقي أن يفعل هَذَا " [١٠٠] . ورواه الخلال [١٠١] وقال معلقاً عقب إيراده: إسناده ضعيف والمتن منكر، كأنه من وضع اليهود ، آفته سعيد بن الحارث

٩٨ تاريخ الإسلام ت بشار (١١/ ٤٤٤) .

٩٩ سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٤/ ٣٨٧) .

١٠٠ إبطال التأويلات (ص: ٧٣، رقم:٥٤) .

١٠١ السنة لابن أبي عاصم ومعها ظلال الجنة للألباني (١/ ٢٤٨، رقم:٥٦٨)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٩٨، رقم:٧٦١)

ويقال: الحارث بن سعيد وهو الأصح، وهو مجهول الحال، وشيخه عبد الله بن مُنين، وإن وثقه يعقوب بن سفيان فقد قال الذهبي: ما روى عنه سوى الحارث بن سعيد. يشير إلى أنه مجهول العين .

ورواه البيهقي، وعلق عليه بقوله: فَهَذَا حَدِيثٌ مُنْكَرٌ وَلَمْ أَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَفُلَيْحُ بْنُ سُلَيْمَانَ مَعَ كَوْنِهِ مِنْ شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، فَلَمْ يُخْرِجَا حَدِيثَهُ هَذَا فِي الصَّحِيحِ، وَهُوَ عِنْدَ بَعْضِ الْحُفَّاظِ غَيْرُ مُحْتَجٍّ بِهِ .

قلت: الحديث باطل، موضوع على رسول الله ﷺ وهو من الإسرائيليات، فقد جاء في التوراة: «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل، فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، و بارك الله اليوم السابع و قدَّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله» [١٠٢] مخالف لنص القرآن ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوب﴾ [ق: ٣٨] وأبو يعلى المجسم يحتج في باب العقيدة بحديث ضعيف السند، منكر المتن، من وضع اليهود، على أن هذا الكلام كأنه وحيٌ من عند الله .

عقيدة التمطي ومدِّ الساعدين:

تعدى التجسيم عند أئمة المجسمة، فلم يكتفوا بالقول أن الله استلقى على ظهره، ووضع إحدى رجليه على الأخرى، بل وصل الأمر بهم إلى أن يصفوا الله تعالى بهيئة البشر عندما يستيقظ من نومه، حيث يجلس على فراشه، ويمدُّ يديه ويتمطى، وربما تثاءب .

١٠٢ سفر التكوين، الإصحاح (٢: ٢) .

روى ابن منده عن أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَزَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَهُ فِي كُلِّ سَمَاءٍ كُرْسِيٌّ، فَإِذَا نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ، ثُمَّ مَدَّ سَاعِدَيْهِ» ، فَيَقُولُ: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ غَيْرَ عَادِمٍ وَلَا ظَلُومٍ، مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَتُوبُ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ» . فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ ارْتَفَعَ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ هَكَذا [١٠٣] .

قلت: هذا الأثر مرسل، منكر المتن، من الإسرائيليات، لا يُحتج به في العقيدة

عقيدة: الكرسي موضع القدمين:

يعتقد الوَهابيَّة أن ربهم إلٰه بصورة البشر، يجلس على عرش عظيم، له وفرة [١٠٤] ، ودونه فراش من ذهب، وقد دلى رجليه على الكرسي، لذلك يقولون: إن الكرسي موضع القدمين .

جاء في فتح الباري: قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ: كُرْسِيُّهُ عِلْمُهُ .

قال ابن باز: وهذا ضعيف، والصواب أن الكرسي موضع القدمين [١٠٥] .

قلت: وابن جبير هو سعيد بن جبير سيد التابعين، تلميذ عبد الله بن عباس حبر الأمة، الإمام المتقن، الحجة، وقد نقل هذا التأويل عن ابن عباس، فقد رد ابن باز قول ترجمان القرآن عبد الله بن عباس، وتلميذه سعيد بن جبير، لينتصر لمذهبه التجسيمي .

١٠٣ الرد على الجهمية (ص:٤٢) .

١٠٤ الوفرة: الشعر الطويل .

١٠٥ الحلل الإبريزية من التعليقات البازية على صحيح البخاري (٣/ ٣٥٤) .

وعن وهب بن منبه: «إِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ، وَالْبِحَارَ لَفِي الْهَيْكَلِ وَأَنَّ الْهَيْكَلَ لَفِي الْكُرْسِيِّ، وَإِنَّ قَدَمَيْهِ لَعَلَى الْكُرْسِيِّ، وَهُوَ يَحْمِلُ الْكُرْسِيَّ، وَقَدْ عَادَ الْكُرْسِيُّ كَالنَّعْلِ فِي قَدَمَيْهِ» [١٠٦] .

قلت: إن فكرة الهيكل ليست من صميم الإسلام، بل هي عقيدة يهودية بحتة، أدخلها وهب بن منبه، إذ هو رائد هذه الفكرة، ومعلوم أن وهباً كان يهودياً فأسلم، وكان عنده علم بأخبار الأولين، وخرافات بني إسرائيل، فلما دخل الإسلام أخذ يتحدث بها، وكان من المسلمين من يستمع إليه، فنقل هذه الفكرة عنه، واتخذها الوَهابيَّة عقيدة .

قولهم: بقيام الحوادث بالرب:

الحوادث: جمع حادث، وهي المخلوقات، وقيامها بالله أي؛ أن يكون الله تعالى محلاً لها، وهي عقيدة حلولية، ورائد هذه الفكرة ابن تيمية، الذي يعتبره الوَهابيَّة شيخ الإسلام، قال ابن تيمية: فإن قلتم لنا: فقد قلتم بقيام الحوادث بالرب قلنا لكم: نعم، وهذا قولنا الذي دل عليه الشرع والعقل .

فإذا قالوا لنا: فهذا يلزم منه أن تكون الحوادث قامت به، قلنا ومن أنكر هذا قبلكم من السلف والأئمة، ونصوص القرآن والسنة تتضمن ذلك مع صريح العقل، وهو قول لازم لجميع الطوائف، ومن أنكره فلم يعرف لوازمه وملزوماته [١٠٧] .

١٠٦ السنة لعبد الله بن أحمد (٢/ ٤٧٧) .

١٠٧ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا (٣/ ١١٨) .

قولهم: بقِدَم العالم النوعي:

ومعنى قِدم نوع العالم؛ أن المادة التي خُلق منها العالم قديمة بقِدَم الله تعالى، لكن الحادث هو أفراد العالم، وهذه المسألة من أبشع المسائل التي نُقلت عنه، حيث أثبت مع الله قديماً، يقول ابن تيمية: وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثاً، بل قديماً، ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفراده، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه [١٠٨] .

عقيدة: تسلسل حوادث لا أول لها :

هذه هي المسألة الثانية التي شنع بها العلماء على ابن تيمية، وهي قوله بتسلسل حوادث «مخلوقات» لا أول لها، أي أنه لا يزال مع الله مخلوق منذ الأزل، وحجته قوله تعالى: ﴿فعَّالٌ لِما يُريدُ﴾، والفعال هو الذي لا يزال فاعلا، فإن توقف عن الفعل بطل كونه فعالا، وهذا يلزم وجود مخلوق أزلي بقِدم الله حتى يستمر هذا الفعل .

وقد أبطل العلماء قوله هذا، وأن كلامه هذا من جنس كلام الفلاسفة، وقد فصلوا ذلك في ردودهم عليه[١٠٩]، أما أهل السنة والجماعة فإنهم يقولون بأن كل ما سوى الله مخلوق، حادث بعد أن لم يكن، لقوله تعالى: ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وعقيدة ابن تيمية هذه مسطرة في أماكن عديدة من كتبه، وأتباعه تبعٌ له في هذه المسألة، منهم من يلتمس المخارج الحسنة لكلام شيخهم، ومنهم من رأى فيه شبه العصمة عن الخطأ، فقوله صواب، وقول غيره خطأ، ومنهم فصَّل في المسألة حتى لا يُرمى ابن تيمية بالكفر ... الخ

١٠٨ درء تعارض العقل والنقل (٢/ ١٤٨) .

١٠٩ رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألة حوادث لا أول لها، بتحقيق الدكتور سعيد فودة .

يقول: وإذا قيل لم يزل يخلق كان معناه لم يزل يخلق مخلوقاً بعد مخلوق، كما لا يزال في الأبد يخلق مخلوقاً بعد مخلوق، ننفي ما ننفيه من الحوادث والحركات شيئاً بعد شيء. وليس في ذلك إلا وصفه بدوام الفعل لا بأن معه مفعولاً من المفعولات بعينه وإن قدر أنه نوعها لم يزل معه فهذه المعية لم ينفها شرع ولا عقل، بل هي من كماله، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُون﴾ [النحل: ١٧] والخلق لا يزالون معه ﴾[١١٠].

وقال: حادثة النوع او الشخص؟ الأول ممنوع والثاني مسلم [١١١].

وقال فيه أيضاً (١/ ٣٢١): ولفظ التسلسل يراد به التسلسل في العلل والفاعلين والمؤثرات: بأن يكون للفاعل فاعل، وللفاعل فاعل إلى ما لا نهاية له، وهذا متفق على امتناعه بين العقلاء.

والثاني: التسلسل في الآثار: بأن يكون الحدث الثاني موقوفا على حادث قبله، وذلك الحادث موقوف على حادث قبل ذلك، وهلم جراً، فهذا في جوازه قولان مشهوران للعقلاء، وأئمة السنة والحديث ـ مع كثير من النظار أهل الكلام والفلاسفة ـ يجوزون ذلك، وكثير من النظار وغيرهم يحيلون ذلك .

قولهم بالصوت:

أي أن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت، شأنه شأن خلقه، فالبشر يتكلمون، وكلامهم بحرف وصوت تسمعه الآذان، وبه يقع التمييز بين الأعيان، فصوت الطير يختلف عن صوت البهائم، وصوت الوحوش يختلف عن صوت الآدميين، فكل أمة

١١٠ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا (٥/ ١٩٣) .

١١١ درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٦٠) .

لها لغتها تتعارف بها فيما بينها، فإذا كان كلام الله تعالى بحرف وصوت ولغة، فكيف نتعامل مع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾ .

قال الألباني: وبين أن مذهب السلف: أَنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِذَا شَاءَ، ومتى شاء، وكيف شاء، وإنه يتكلم بصوت [١١٢] .

قَالَ عبد الله بن احمد: سَأَلت أبي فَقلت يَا أبي الْجَهْمِية يَزْعمُونَ أَن الله لَا يتَكَلَّم بِصَوْت فَقَالَ كذبُوا إِنَّمَا يدورون على التعطيل [١١٣] .

قال عبد الرحمن البراك: وأهل السنة متفقون على أن الله يتكلم بصوت، يسمعه من شاء، وأن موسى ﷺ سمع كلام الله من الله، وأن الملائكة تسمع كلام الله إذا تكلم بالوحي، فيسمعونه ويأخذهم من ذلك صعق وغشي [١١٤] .

قلت: يستند الوهابية بقولهم بالصوت إلى أحاديث منها:

(الحديث الأول) روى البخاري: «يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادُ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ، وَأَحَدٌ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَطْلُبُهُ بِمَظْلَمَةٍ » [١١٥] .

هذا الحديث رواه البخاري في: (خلق أفعال العباد) ورواه في الصحيح معلقاً، وهو حديث لا يُحتج به لضعف إسناده، ففي رجاله: عبد الله بن محمد بن عقيل، صدوق في نفسه متدين، لكنه سيء الحفظ، لا يحتج بحديثه ؛

١١٢ شرح الطحاوية – ط دار السلام (ص: ٥٧) .

١١٣ توضيح المقاصد شرح الكافية الشافية نونية ابن القيم (١/ ٢٢٨) .

١١٤ إرشاد العباد إلى معاني لمعة الاعتقاد (ص: ٥٤) .

١١٥ خلق أفعال العباد للبخاري (ص: ٩٨) .

قال الذهبي: قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: لَيِّنُ الحدِيْثِ وَقَالَ ابْنُ خُزَيْمَةَ: لاَ أَحْتَجُّ بِهِ لِسُوْءِ حِفْظِهِ، وَقَالَ ابْنُ مَعِيْنٍ: ضَعِيْفٌ، وَقَالَ ابْنُ المَدِيْنِيِّ: لَمْ يُدخِلْه مَالِكٌ فِي كُتُبِه وَكَانَ يَحْيَى بنُ سَعِيْدٍ القَطَّانُ لاَ يُحَدِّثُ عَنْهُ. وَقَالَ آخَرُ: كَانَ مِنَ العُلَمَاءِ العُبَّادِ. وَقَالَ الفَسَوِيُّ: صَدُوْقٌ فِي حَدِيْثِهِ ضَعْفٌ .

قُلْتُ: «الذهبي» لاَ يَرتَقِي خبره إلى درجة الصِّحَّةِ وَالاحْتِجَاجِ [١١٦]. انتهى

وفيه القاسم بن عبد الواحد؛ قَالَ أَبُو حَاتِم: يكْتب حَدِيثه قيل لَهُ: أيحتج بِهِ؟ قَالَ: يحْتَج بسفيان وَشعْبَة [١١٧] .

قلت: هذا الحديث في علتان من ناحية الإسناد، فينزل إلى درجة الضعف، فلا يحتج به خاصة في باب العقائد، وفيه علة من حيث متنه وهو لفظ: «الصوت»، مخالف لقوله تعالى: ليس كمثله شيء، وإثبات الصوت فيه مشابهة لخلقه تعالى عن ذلك.

(الحديث الثاني): «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلَى النَّارِ ...» [١١٨]

قلت: هذا الحديث ليس فيه حجة على أن لله تعالى صوتاً، لأن المنادي ملك من الملائكة، بدليل متن الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ »، فلو كان الله تعالى هو المتكلم لم يقل: إن الله يأمرك، فبطل الاحتجاج به .

١١٦ سير أعلام النبلاء ط الحديث (٦/ ٣٢٩) .

١١٧ المغني في الضعفاء (٢/ ٥٢٠) .

١١٨ صحيح البخاري (٦/ ٩٧، رقم:٤٧٤١) .

(الحديث الثالث): عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ السَّمَوَاتِ شَيْئاً، فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ، عَرَفُوا أَنَّهُ الحَقُّ وَنَادَوْا»: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣] .

قلت: ليس في الحديث ما يثبت الصوت لله تعالى، لأن هذا الصوت هو للوحي، بدليل ما جاء عن السيدة عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلَ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ: «يَأْتِينِي أَحْيَانًا فِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ فَيَفْصِمُ عَنِّي، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ، وَهُوَ أَشَدُّ مَا يَأْتِينِي، وَيَأْتِينِي أَحْيَاناً فِي مِثْلِ صُورَةِ الْفَتَى فَيَنْبِذُهُ إِلَيَّ فَأَعِيهِ، وَهُوَ أَهْوَنُهُ عَلَيَّ» [١١٩] ،

وما جاء عن عبد الله قال رسول الله ﷺ: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ لِلسَّمَاءِ صَلْصَلَةً كَجَرِّ السِّلْسِلَةِ عَلَى الصَّفَا، فَيُصْعَقُونَ، فَلَا يَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ جِبْرِيلُ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ جِبْرِيلُ فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» قَالَ: " فَيَقُولُونَ: يَا جِبْرِيلُ مَاذَا قَالَ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: الْحَقَّ، فَيَقُولُونَ: الْحَقَّ، الْحَقَّ» [١٢٠] .

ففي هذا الحديث يثبت أن الصوت للسماء وليس لله تعالى، فيبطل احتجاجهم بما أوردنا من أحاديث للدلالة على أن لله صوتاً .

عقيدة الكراسي :

قال ابن القيم: وَذَكَرَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَهُ فِي كُلِّ

[١١٩] مسند الحميدي (١/ ٢٨٦) .

[١٢٠] سنن أبي داود (٤/ ٢٣٥) .

سَمَاءٍ كُرْسِيٍّ، فَإِذَا نَزَلَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا جَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَتُوبُ فَأَتُوبُ عَلَيْهِ؟ فَإِذَا كَانَ عِنْدَ الصُّبْحِ ارْتَفَعَ فَجَلَسَ عَلَى كُرْسِيِّهِ» . رَوَاهُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بْنُ مَنْدَهْ، وَرُوِيَ عَنْ سَعِيدٍ مُرْسَلًا وَمَوْصُولًا، قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: مُرْسَلُ سَعِيدٍ عِنْدَنَا حَسَنٌ .

قلت: هذا الحديث لم أجده في شيء من كتب السنة، ولم يروه أحد من المحدثين فيما أعلم، وإنما أورده ابن منده المجسم في الرد على الجهمية مرسلاً عن سعيد بن المسيب، والمرسل لا يقبل به في أصول الدين ، خاصة وأنه يصف الله تعالى بالحركة والسكون، والتنقل من مكان إلى مكان، وفيه من الحلول ما لا يخفى .

الباب الثاني

تنقيصهم النبي ﷺ وأهل بيته

ويشتمل على عقيدة الوَهابيَّة المتعلقة بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهي الشق الثاني من كلمة التوحيد: «محمدٌ رسول الله»، ومجملها؛

إن الوَهابيَّة لا يرون العصمة للأنبياء، بل يرونهم أنهم بشر عاديون، يخطئون ويصيبون، ولكنهم لا يصرون على الذنب، بل إنهم ينسبون الشرك للأنبياء، كما سنرى بعد قليل، ويرون عداوة النبي ﷺ خاصة لكونه لم يدعُ لأهل نجد، وإنما كانت دعوته لأهل الشام وأهل اليمن، وأن نجداً يطلع منها قرن الشيطان، فقالوا: هو البادئ بالعداوة، وسأبدأ بعقيدتهم بأبينا آدم عليه السلام فأقول:

ابن عبد الوهاب يصف أبوينا آدم وحواء بالشرك:

قال ابن عبد الوهاب في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٩، ١٩٠]:

قال ابن حزم: اتفقوا على تحريم كل اسمٍ معبَّدٍ لغير الله كعبد عمرو، وعبد الكعبة، وما أشبه ذلك حاشى عبد المطلب.

وعن ابن عباس في الآية: "قال لما تغشاها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة، لتطيعاني أو لأجعلن له قرني أيل، فيخرج من بطنك فيشقه، ولأفعلن ولأفعلن يخوفهما، سمِّياه عبد الحارث، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله، فأبيا أن يطيعاه، فخرج ميتا، ثم حملت فأتاهما فذكر لهما، فأدركهما حبُّ الولد فسمياه عبد الحارث، فذلك قوله: ﴿جَعَلا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾" رواه ابن أبي حاتم.

وله بسند صحيح عن قتادة قال: "شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته [١٤١].

قلت: نسب ابن عبد الوهاب هذا القول لابن حزم، ولم ينقل تعليق ابن حزم على هذه الرواية، بل دلَّس ليوهم البسطاء بصحة ما يدَّعيه، وهذا قول ابن حزم في هذه المسألة:

قال ابن حزم: وَهَذَا الَّذِي نسبوه إِلَى آدم عَلَيْهِ السَّلَام من أَنه سمى ابْنه عبد الْحَارِث خرافة مَوْضُوعَة مكذوبة من تأليف من لَا دين لَهُ وَلَا حَيَاء، لم يَصح سندها قطّ،

١٤١ حاشية كتاب التوحيد (ص: ٣٣٢).

وَإِنَّمَا نزلت فِي الْمُشْركين على ظَاهرهَا، وَحَتَّى لَو صَحَّ أَنَّهَا نزلت فِي آدم **وَهَذَا لَا يَصح أصلا** لما كَانَت فِيهِ للمخالف حجَّة، لِأَنَّهُ كَانَ يكون الشّرك أَو الشُّرَكَاء المذكورون فِي الْآيَة حِينَئِذٍ على غير الشّرك الَّذِي هُوَ الْكفْر، لَكِن بمعنى أَنَّهُمَا جعلا مَعَ توكلهما شركَة من حفظه، وَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام: ﴿يَا بني لَا تدْخلُوا من بَاب وَاحِد وادخلوا من أَبْوَاب مُتَفَرِّقَة وَمَا أُغني عَنْكُم من الله من شَيْء إِن الحكم إِلَّا لله عَلَيْهِ توكلت وَعَلِيهِ فَليَتَوَكَّل المتوكلون * وَلما دخلُوا من حَيْثُ أَمرهم أبوهم مَا كَانَ يُغني عَنْهُم من الله من شَيْء إِلَّا حَاجَة فِي نفس يَعْقُوب قَضَاهَا وَأَنه لذُو علم لما علمناه وَلَكِن أَكثر النَّاس لَا يعلمُونَ﴾ فَأخْبرنَا عز وَجل أَن يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلَام أَمرهم أَن يدخلُوا من أَبْوَاب مُتَفَرِّقَة إشفاقاً عَلَيْهِم؛ إما من إِصَابَة الْعين وَإِمَّا من تعرض عَدو أَو مستريب باجماعهم، أَو بِبَعْض مَا يخوفه عَلَيْهِم، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَام معترف أَن فعله ذَلِك وَأمره إيَّاهُم بِمَا أَمرهم بِهِ من ذَلِك لَا يُغني عَنْهُم من الله شَيْئا يُريدهُ عز وَجل بهم [١٢٢] . انتهى كلام ابن حزم

ابن تيمية ينسب شعيباً إلى الكفر:

وهو سيدنا شعيب ﷺ خطيب الأنبياء، وهو نبيٌّ عربي، فقال ابن تيمية في قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ* قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾[الأعراف: ٨٨، ٨٩] ظَاهِرُهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ شُعَيْباً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ قَوْمِهِمْ؛ لِقَوْلِهِمْ: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ وَلِقَوْلِ شُعَيْبٍ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ

١٢٢ الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٤) .

فِيهَا﴾ وَلِقَوْلِهِ: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ﴾ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ كَانُوا فِيهَا، وَلِقَوْلِهِ: ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَنْجَاهُمْ مِنْهَا بَعْدَ التَّلَوُّثِ بِهَا؛ وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ عَائِدًا عَلَى قَوْمِهِ؛ لِأَنَّهُ صَرَّحَ فِيهِ بِقَوْلِهِ: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾ وَلِأَنَّهُ هُوَ الْمُحَاوِرُ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا وَهَذَا يَجِبُ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ الْمُتَكَلِّمُ وَمِثْلُ هَذَا فِي سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الْآيَةُ [١٢٣].

تصحيح فهم: حاول ابن تيمية جاهداً أن يثبت أن سيدنا شعيباً عليه السلام كان مشركا، واستدل بمنطوق الآية، أي أنه استعمل ظاهر اللفظ، ونسي أن القرأن ينبغي فيه التأويل، وهو تفسير ما أجملته الآيات، وإلا لما كنا بحاجة إلى كتب التفسير.

من المجمَع عليه عند علماء الأمة أن الأنبياء معصومون من الشرك والذنوب صغيرها وكبيرها، قبل النبوة وبعدها، ولو وقع منهم الذنب لكنا مأمورين باتباعهم، لأنهم قدوة لأممهم، وأن سيدنا شعيباً عليه السلام كان كارهاً لعقيدتهم، دليل ذلك قوله: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾، أي لملتكم، وهو ما يعبر عنه بحرية الأديان، أنكم تستعملون معنا العنف لاعتناق ملتكم الكافرة، ونحن ندعوكم لاعتناق ملتنا دون إكراه، وقوله: ﴿بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾، والإنجاء هنا مقصود به شعيب عليه السلام، وهو هداية الله إياه إلى التوحيد بالفطرة قبل البعثة، وبالوحي بعدها، فنجاه الله من الشرك أصلا حيث لم يعتنقه في حياته قط، أما قومه فهداهم الله على يد شعيب، فكأنهم لم يعبدوا صنماً من قبل، لأن الإسلام يجب «يقطع» ما قبله، وجاء اللفظ بصيغة الجمع ويقصد

١٢٣ مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٩)

قومه الذين هداهم الله على يديه، فهم قومه وشيعته، وهو المتكلم باسمهم، وتكلم باسم الجماعة لأنه واحد منهم، وليس المقصود أنه كان على ملة قومه.

ابن عبد الوهاب ينسب النبي ﷺ الى الشرك:

قال محمد بن عبد الوهاب، وهو مؤسس الوَهابيَّة في تفسير قوله تعالى مخاطباً رسوله ﷺ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾: أَيْ طَهِّرْ أَعْمَالَكَ من الشِّرْكِ [١٢٤] .

خالف ابن عبد الوهاب في تفسيره هذا أصول التفسير المعتمدة عند العلماء، وخالف قواعد اللغة، وخالف تفسير العلماء كافة لهذه الآية، وكأن النبي ﷺ كان مشركاً وأمره الله بنبذ الشرك .

وأظن أن تفسيره هذا لا يخلو من أمرين؛

أحدهما: جهله بتفسير الآية، بل بقواعد التفسير .

ثانيهما: بغضه للنبي ﷺ حتى يتمحل هذا التمحل، فينسب النبي المعصوم للشرك، وحاشاه ﷺ من ذلك .

ابن تيمية لا يرى العصمة للنبي ﷺ:

إن من المجمع عليه عند أهل السنة والجماعة عصمة الأنبياء والرسل عن الكبائر، والصغائر، وخلاف الأولى، وخرائم المروءات، قبل البعثة وبعدها، لكونهم قدوة لغيرهم من عوام الأمة، حيث جعلهم الله تعالى مثالاً يحتذى وينتهج طريقه، للوصول إلى مرضات الله تعالى، فعقائدهم هي خير العقائد، وأقوالهم هي وحي من عند الله تعالى، وأفعالهم مصونة عن النقص، وسِيَرهم هي أحسن السِّيَر، فلا يوجد

١٢٤ ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع (ص: ٢٠) .

في حياتهم ما يُعاب أو يُنتقد، لأنهم نسق معجز للبشر، لكن المجسمة وصفوا الأنبياء بغير ما أجمعت عليه الأمة، وتعاملوا معهم على أنهم بشر كباقي الناس، وأما معاملتهم مع النبي ﷺ وأهل بيته فهي معاملة مَن لا يعرفون من الأدب لا إسمه ولا رسمه:

قال ابن تيمية: وَالْقَوْلُ الَّذِي عَلَيْهِ جُمْهُورُ النَّاسِ، وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِلْآثَارِ الْمَنْقُولَةِ عَنْ السَّلَفِ إثْبَاتُ الْعِصْمَةِ مِنْ الْإِقْرَارِ عَلَى الذُّنُوبِ مُطْلَقاً، وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ يَقُولُ إنَّهُ يَجُوزُ إقْرَارُهُمْ عَلَيْهَا، وَحُجَجُ الْقَائِلِينَ بِالْعِصْمَةِ إذَا حُرِّرَتْ إنَّمَا تَدُلُّ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، وَكَذَلِكَ مَا احْتَجُّوا بِهِ مِنْ أَنَّ الذُّنُوبَ تُنَافِي الْكَمَالَ، أَوْ أَنَّهَا مِمَّنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ أَقْبَحُ، أَوْ أَنَّهَا تُوجِبُ التَّنْفِيرَ، أَوْ نَحْوُ ذَلِكَ مِنْ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّةِ، فَهَذَا إنَّمَا يَكُونُ مَعَ الْبَقَاءِ عَلَى ذَلِكَ وَعَدَمِ الرُّجُوعِ، وَإِلَّا فَالتَّوْبَةُ النَّصُوحُ الَّتِي يَقْبَلُهَا اللَّهُ يَرْفَعُ بِهَا صَاحِبَهَا إلَى أَعْظَمِ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كَانَ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ التَّوْبَةِ خَيْرًا مِنْهُ قَبْلَ الْخَطِيئَةِ، وَقَالَ آخَرُ: لَوْ لَمْ تَكُنْ التَّوْبَةُ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إلَيْهِ لَمَا ابْتُلِيَ [١٢٥] .

يصرح ابن تيمية أن العصمة تقع للأنبياء فيما يبلغونه عن الله فقط، لكن في غير التبليغ فهم غير معصومين، وقال: إن الذنب لا ينافي كمال الشخص، بل يكون كاملاً مع وجود الذنب ، وهذا لا يقول به عاقل، يعلم ما يخرج من رأسه، فكيف يحصل منه الذنب ثم يبقى على كماله؟! فالكمال هو التنزه عن معصية الله تعالى، وعلى كلام ابن تيمية يقع المستحيل؛ وهو اجتماع الضدين، فالذنب نقص، والعصمة كمال، فكيف يجتمعان؟

١٢٥ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٥٨) .

إن كلامه هذا مخالف لقوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]، فكيف يأمر النبي ﷺ قومه بمجانبة الذنب ثم يقترفه هو؟؟

قال: وَالْأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ كَانُوا لَا يُؤَخِّرُونَ التَّوْبَةَ؛ بَلْ يُسَارِعُونَ إِلَيْهَا، وَيُسَابِقُونَ إِلَيْهَا، لَا يُؤَخِّرُونَ وَلَا يُصِرُّونَ عَلَى الذَّنْبِ بَلْ هُمْ مَعْصُومُونَ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ أَخَّرَ ذَلِكَ زَمَنًا قَلِيلًا كَفَّرَ اللَّهُ ذَلِكَ بِمَا يَبْتَلِيهِ بِهِ كَمَا فَعَلَ بِذِي النُّونِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا عَلَى الْمَشْهُورِ أَنَّ إِلْقَاءَهُ كَانَ بَعْدَ النُّبُوَّةِ؛ وَأَمَّا مَنْ قَالَ إِنَّ إِلْقَاءَهُ كَانَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى هَذَا [١٢٦] .

قلت: يصر ابن تيمية على عدم عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لكنهم يبادرون إلى التوبة، ومن لم يتب منهم من الذنب مباشرة قد يبتليه الله تعالى ببعض المصائب ليكفِّر عنه، أما قبل النبوة فلا يلزم منهم التوبة .

يعني أنهم كسائر الناس، لا فرق بينهم أبدا، وعلى هذا فما هو تفضيل النبي على غيره؟؟

وقال أيضاً: وَمَا يَظُنُّهُ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ مَنْ وُلِدَ عَلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يَكْفُرْ قَطُّ أَفْضَلُ مِمَّنْ كَانَ كَافِرًا فَأَسْلَمَ لَيْسَ بِصَوَابٍ؛ بَلْ الِاعْتِبَارُ بِالْعَاقِبَةِ وَأَيُّهُمَا كَانَ أَتْقَى لِلَّهِ فِي عَاقِبَتِهِ كَانَ أَفْضَلَ، فَإِنَّهُ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ آمَنُوا بِاَللَّهِ وَرَسُولِهِ بَعْدَ كُفْرِهِمْ هُمْ أَفْضَلُ مِمَّنْ وُلِدَ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْ أَوْلَادِهِمْ وَغَيْرِ أَوْلَادِهِمْ؛ بَلْ مَنْ عَرَفَ الشَّرَّ وَذَاقَهُ ثُمَّ عَرَفَ الْخَيْرَ وَذَاقَهُ فَقَدْ تَكُونُ مَعْرِفَتُهُ بِالْخَيْرِ وَمَحَبَّتُهُ لَهُ وَمَعْرِفَتُهُ بِالشَّرِّ وَبُغْضُهُ لَهُ أَكْمَلَ مِمَّنْ لَمْ يَعْرِفْ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَيَذُقْهُمَا

١٢٦ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٦٩) .

كَمَا ذَاقَهُمَا؛ بَلْ مَنْ لَمْ يَعْرِفْ إِلَّا الْخَيْرَ فَقَدْ يَأْتِيهِ الشَّرُّ فَلَا يَعْرِفُ أَنَّهُ شَرٌّ، فَإِمَّا أَنْ يَقَعَ فِيهِ، وَإِمَّا أَنْ لَا يُنْكِرَهُ كَمَا أَنْكَرَهُ الَّذِي عَرَفَهُ [١٢٧] .

يعني: ما يُفهم من كلامه أن المسلم حتى يكون في حالة أرقى أيماناً لا بد من الكفر أولاً حتى يذوق طعم الكفر، ثم يؤمن ويذوق طعم الإسلام، فيكون ذاق طعم الكفر والإيمان، ويفرِّق بينهما، فيكون هناك كماله لمعرفته بالخير والشر، ولا أظن هذا إلا من تلبيس الشيطان، حتى يوقع المسلم بالكفر والمعصية، فيقول له: اكفر ثم تتوب بعد ذلك، أو اعص الله ثم تتوب بعد ذلك، فتكون في الدرجة العليا من الإيمان .

ولا أظن أن أحداً سبقه إلى القول إلا إبليس، حيث قال الله عنه: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (١٦) فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِين (١٧)﴾ [الحشر] .

ابن تيمية يمنع زيارة النبي ﷺ :

لم يسبق ابنَ تيمية في هذه المسألة أحدٌ من العلماء، ونال بسببها التعزير، والسجن، وفقد كثيراً من قيمته عند الناس، وردَّ عليه العلماء وأبطلوا قوله، فلا يخرج هذا الكلام إلا من ناصبي .

إن ابن تيمية فسر حديث النبي ﷺ «لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ وَمَسْجِدِ الأَقْصَى» [١٢٨] ، تفسيراً مغايراً لمنطوق

١٢٧ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٥/ ٢٦٣) .

١٢٨ صحيح البخاري (٢/ ٦٠) .

الحديث، فالحديث نص على أن هذه المساجد الثلاثة ضوعفت فيها الأجور ، من دون مساجد الدنيا، حيث جعلها الله سوقاً لمن أراد التجارة معه أما باقي المساجد فهي متساوية في الأجر والفضيلة، لذلك لا تُسن زيارتها لأن السفر إليها جهد ضائع .

أما زيارة النبي ﷺ فهي موضوع منفصل عن هذا، ولا شأن لها في زيارة هذه المساجد، وابن تيمية أقحم زيارة النبي في زيارة المساجد الثلاثة، فحرم زيارة النبي بناء على هذا الحديث، فخالف بذلك إجماع المسلمين وعملهم، وفسر الحديث بما لا تحتمله اللغة، لأن المستثنى يجب أن يكون تاما، وأن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، وإلا كان استثناءً مفرغا؛

الاستثناء المفرَّغ:

هو الاستثناء الناقص المنفي نفسه، ويكون هذا النوع عندما يجيء الكلام منفيّاً وغير تام، والقصد أن يجيء مسبوقاً بأداة نهي أو نفي، ويكون خالياً من المُستثنى منه، يحضر في جملته: أداة النفي والأداة والمُستثنى، ويُسمّى بالمفرغ لأنه فُرغ من المستثنى منه، وهو أسلوب يفيد الحصر، وتعرب فيه الأداة أداة استثناء ملغاة، ومثاله: "ما جاء إلا زيدٌ " .

ففي هذا المثال جاء الكلام منفيّاً وغير تام، لأنّه سُبق بأداة نفي وهي ما، وفرغ من المستثنى منه .

وفي هذا الحديث: جاء الاستثناء مفرغاً من المستثنى منه وهو المسجد، وقد سُبق بأداة نفي، فإذا أثبتنا المستثنى منه يكون تقدير الكلام:

«لا تشد الرحال إلى **مسجد** إلا إلى ثلاثة مساجد» .

وبهذا يستقيم الكلام، ولا يكون للزيارة شأن بهذا الحديث، إذ كل واحد منها عبادة مستقلة .

فالدليل الذي استدل به ابن تيمية باطل، لا يصح الاستدلال به لغة، ومعارَضٌ من الأدلة الصحيحة التي سنأتي عليها، ومنها الإجماع .

قال ابن تيمية: أما زيارته فليست واجبة باتفاق المسلمين؛ بل ليس فيها أمر في الكتاب ولا في السنة، وإنما الأمر الموجود في الكتاب والسنة بالصلاة عليه والتسليم[١٢٩] .

وفي مجموع الفتاوى أيضا (٢٤٣/٢٧) : " لو كان قبر نبينا يزار كما تزار القبور لكان أهل مدينته أحق الناس بذلك، كما أن أهل كل مدينة أحق بزيارة من عندهم من الصالحين، فلما اتفق السلف وأئمة الدين على أن أهل مدينته لا يزورون قبره، بل ولا يقفون عنده للسلام إذا دخلوا المسجد وخرجوا، وإن لم يسمى هذا زيارة، بل يكره لهم ذلك عند غير السفر، كما ذكر ذلك مالك وبيَّن أن ذلك من البدع التي لم يكن صدر هذه الأمة يفعلونه، علم أن من جعل زيارة قبره مشروعة كزيارة قبر غيره فقد خالف إجماع المسلمين.

وفي مجموع الفتاوى أيضا (٣٠٩/٢٧) : " إن إتيان مسجد رسول الله وقصد ذلك والسفر لذلك أولى من إتيان قبره لو كانت الحجرة مفتوحة والسفر إليه بإجماع المسلمين، فإن الصحابة كانوا يأتون مسجده في اليوم والليلة خمس مرات، والحجرة إلى جانب المسجد لم يدخلها أحد منهم، لأنهم قد علموا أنه نهاهم أن يتخذوا القبور مساجد، وأن يتخذوا قبره عيدا أو وثنا، وأنه قال لهم: «صلوا على حيثما

١٢٩ الفتاوى الكبرى (١٤٦/٥)، ومجموع الفتاوى (٢٦/٢٧) .

كنتم» وكذلك قد علموا أن صلاتهم وسلامهم عليه في المسجد أولى منه عند قبره، وكل من يسافر للزيارة فسفره إنما يكون إلى المسجد، سواء قصد ذلك أو لم يقصده !! والسفر إلى المسجد مستحب بالنص والإجماع .

وفي الرد على الأخنائي (ص: ٣٨٥): ولهذا كان الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين إذا دخلوا المسجد ... لم يكونوا يذهبون إلى ناحية القبر فيزورونه هناك ولا يقفون خارج الحجرة، كما لم يكونوا يدخلون الحجرة أيضا لزيارة قبره... ولا كانوا أيضا يأتون من بيوتهم لمجرد زيارة قبره ﷺ بل هذا من البدع التي أنكرها الأئمة والعلماء، وإن كان الزائر ليس مقصوده إلا الصلاة والسلام عليه وبينوا أن السلف لم يفعلوها .

وله كلام كثير في هذا الموضوع تجد ذلك في رسالته: الرد على الأخنائي.

لكن الأنكى من هذا كله أنه اعتبر زيارة قبر النبي ﷺ أو أي قبر من قبور الأنبياء معصية، لا يجوز فيه قصر الصلاة :

قال: "وربما كان مقصوده بالحج من زيارة قبره أكثر من مقصوده بالحج، وربما سوى بين القصدين، وكل هذا ضلال عن الدين باتفاق المسلمين، بل نفس السفر لزيارة قبر من القبور - قبر نبي أو غيره - منهي عنه عند جمهور العلماء، حتى أنهم لا يجوزون قصر الصلاة فيه بناء على أنه سفر معصية" [١٣٠] .

وبناء على ما أسس ابن تيمية وتلميذه سار ابن عبد الوهاب وأتباعه من منتسبي الحركة الوَهابيَّة، فمنعوا زيارته ﷺ ، وأقاموا الجنود والموظفين أمام الحجرة الشريفة، ومنعوا الوقوف أمامه للزيارة، بل اكتفوا برد السلام ثم المغادرة .

١٣٠ مجموع الفتاوى (٤/ ٥٢٠) .

قلت: إن ابن تيمية لا يخجل من الكذب على علماء الأمة، وأن الإجماع عندهم منعقد على حرمة زيارة قبره ﷺ ، وأن السفر لذلك معصية لا تجوز فيه قصر الصلاة، وهذا معلوم من أسلوبه في إصدار الأحكام على الأشياء، فيدعي الإجماع دون أن يذكر الدليل على صحة قوله .

ودليل كذبه وتدليسه أن مقولته هذه كانت سبب هجمة العلماء عليه، وردهم لفريته، حتى أنهم أوقفوه مجلس القضاء، وتاب عن مقولته بلسانه أمامهم خوفاً من السجن والتعزير، لكنه عاد إلى القول بذلك فحبس بسجن القلعة، ولو كان الإجماع منعقداً على حرمة زيارة النبي ﷺ فلماذا شنّع العلماء عليه إذاً؟!

قال ابن القيم : وهو تلميذ ابن تيمية المخلص، وبقي معه في السجن إلى أن مات، وبقي على عهد شيخه بالقول بمنع زيارة النبي ﷺ .

قال ابن شاكر الكتبي في معرض كلامه عن ابن القيم: "وكان السبب في ذلك أنه أفتى فتيا وذكر فيها أن زيارة قبور الأنبياء عليهم السلام لا تشد إليها الرحال؛ كقبر إبراهيم الخليل، وقبر محمد النبي ﷺ واتفق أن شمس الدين ابن القيم سافر إلى القدس، ورقى على المنبر ووعظ، وذكر هذه المسألة وقال : ها أنا من هاهنا أرجع ولا أزور الخليل، وجاء إلى نابلس وعمل مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى إنه قال : لا يزار قبر النبي ﷺ إلا مسجده !! فقام عليه الناس فحماه منهم والي البلد ، وكتب أهل القدس ونابلس إلى دمشق بصورة ما وقع، فطلبه القاضي المالكي فتودد وصعد إلى قاضي القضاة ابن مسلم، وتاب وأسلم على يده فقبل توبته وحكم بإسلامه،

وحقن دمه ولم يعزره [١٣١]. ونحو ذلك ذكر الحصني في كتابه: دفع شبه من شبه وتمرد (ص: ٤٥٦) .

ابن باز يحرِّم زيارة النبي ﷺ:

قال ابن باز: وأما ما يروى في هذا الباب من الأحاديث التي يحتج بها من قال بشرعية شد الرحال إلى قبره عليه الصلاة والسلام، فهي أحاديث ضعيفة الأسانيد، بل موضوعة كما قد نبه على ضعفها الحفاظ؛ كالدارقطني، والبيهقي، والحافظ ابن حجر، وغيرهم، فلا يجوز أن يعارض بها الأحاديث الصحيحة الدالة على تحريم شد الرحال لغير المساجد الثلاثة .

وإليك أيها القارئ شيئاً من الأحاديث الموضوعة في هذا الباب لتعرفها وتحذر الاغترار بها :

الأول: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» .

والثاني: «من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي» .

والثالث: «من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على الله الجنة»

والرابع: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» .

فهذه الأحاديث وأشباهها لم يثبت منها شيء عن النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر في التلخيص: - بعد ما ذكر أكثر هذه الروايات - طرق هذا الحديث كلها ضعيفة .

وقال الحافظ العقيلي: لا يصح في هذا الباب شيء.

١٣١ عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي، مخطوط، المجلد (٢٣) حوادث سنة (٧٢٢) هـ.

وجزم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أن هذه الأحاديث كلها موضوعة. وحسبك به علما وحفظا واطلاعا.

ولو كان شيء منها ثابتا لكان الصحابة رضي الله عنهم أسبق الناس إلى العمل به، وبيان ذلك للأمة ودعوتهم إليه لأنهم خير الناس بعد الأنبياء، وأعلمهم بحدود الله وبما شرعه لعباده، وأنصحهم لله ولخلقه، فلما لم ينقل عنهم شيء من ذلك دل ذلك على أنه غير مشروع، ولو صح منها شيء لوجب حمل ذلك على الزيارة الشرعية انتهى كلام ابن باز

قلت: معلوم عند أبناء هذه الطائفة التدليس، والكذب على الخصم من أجل نصرة المذهب، ويعتبرون ذلك دينا، ومن مبادئهم منع زيارة النبي ﷺ وحتى يتم لهم ذلك أقاموا العسكر والموظفين أمام الحجرة الشريفة ليمنعوا الناس من زيارته، بل سمحوا للناس بالسلام عليه فقط .

لذا كان من البديهي أن يحكموا على أحاديث الزيارة بالوضع، مقلدين شيخهم ابن تيمية، إذ هو من ابتدع هذا القول في تاريخ الإسلام، فلاقى بذلك العنت الشديد من علماء عصره، وأودعوه السجن مرات، حتى قضى نحبه فيه.

وأحاديث الزيارة مشهورة عند المسلمين، منها الصحيح لغيره، والحسن والضعيف والموضوع، والضعيف منها منجبر بالصحيح، ويكفينا في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النساء: ٦٤] .

هذه الآية محكمة، وغير منسوخة، فهي باقية التلاوة والحكم إلى قيام الساعة، فقوله: ﴿جَاءُوكَ﴾ تفيد الحركة والانتقال من مكان السكن، إلى المدينة المنورة، لأجل طلب الاستغفار من النبي ﷺ وهذا يفيد زيارته، وزيارة مسجده، وليس

المسجد فقط، ولو كانت الزيارة للمسجد فقط ما صح أن نترك مسجداً فيه الصلاة بمائة ألف، للصلاة في مسجد الصلاة فيه بألف، لذا تبين أن الزيارة من أجله ﷺ، وعلى ذلك كان إجماع المسلمين على اختلاف عصورهم، فما من عالم زار بيت الله في مكة، إلا وتجده تشرف بزيارته ﷺ في المدينة، وشد رحاله لأجل ذلك .

وما من عالم صنف في الحج إلا وأتبعه باب زيارة النبي ﷺ ، وكتب العلماء غاصة بذلك، وسأنقل أقوالاً لبعض العلماء، وليس جميعهم لكثرتهم :

الإمام النووي:

"واعلم أن زيارة قبر رسول الله ﷺ من أهم القربات، وأنجح المساعي، فإذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة استُحب لهم استحباباً متأكداً أن يتوجهوا إلى المدينة لزيارته ﷺ وينوي الزائر من الزيارة التقرب **وشد الرحل إليه (ﷺ) والصلاة فيه**" [١٣٢] . أي في مسجده . اهـ.

وقال أيضاً :

" إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي، وَقَدْ رَوَى البزارُ والدارَقطْنِي بِإِسْنادهمَا عن ابنِ عمَر رضي الله عنهما قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: "مَنْ زَارَ قبرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي" [١٣٣] .

الإمام ابن حجر الهيتمي:

١٣٢ المجموع شرح المهذب (٨/ ٢٧٢) .

١٣٣ الإيضاح في مناسك الحج والعمرة (ص: ٤٤٧) .

قـال معلقاً: الحديث يشمل زيارتـه ﷺ حياً وميتاً ، ويشمل الذكـر والأنثى، الآتي من قُرب ومن بُعد ، فيُسـتدل به على فضـيلة شـد الرحال لذلك، وندب السـفر للزيـارة إذ للوسائل حكم المقاصـد " [١٣٤] .

الإمام الكمال ابن الهمام :

المقصد الثالث في زيارة قبر النبي ﷺ :

قـال مشايخنا رحمهم الله تعالى : مـن أفضل المندوبات ، وفـي مناسك الفارسي وشرح المختار: أنها قريبة مـن الوجـوب لمـن له سعة ... هَـذَا وَالْحَجُّ إنْ كَانَ فَرْضاً فَالْأَحْسَـنُ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ ثُمَّ يُثْنِي بِالزِّيَارَةِ، وَإِنْ كَانَ تَطَوُّعاً كَانَ بِالْخِيَارِ، فَإِذَا نَوَى زِيَارَةَ الْقَبْرِ فَلْيَنْوِ مَعَهُ زِيَارَةَ الْمَسْجِدِ: أَيْ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [١٣٥] .

العلامة محمد أنور شاه :

إن آلاف الألوف من السلف كانوا يشدون الرحـال لزيـارة النبي ﷺ ويزعمونـها مـن أعظـم القربات، وتجريد نياتهـم إنها كانت للمسجد دون الروضة المباركة بـاطل، بـل كانـوا ينوون زيـارة قبر النبي ﷺ قطعاً [١٣٦] .

العلامة ابن عابدين:

"قوله مندوبة": أي بإجماع المسلمين كما في اللباب، قوله: "بـل قيل واجبة" ذكره في شرح اللباب ، وقال كما بينته فـي " الدرة النبوية في الزيارة المصطفوية" وذكره أيضاً الخير الرملي في حاشية المنح عن ابـن حجر قـال : وانتصـر لـه، نعم عبارة

١٣٤ حاشية الإيضاح (ص: ٢١٤) .

١٣٥ فتح القدير للكمال ابن الهمام (٣/ ١٧٩) .

١٣٦ فيض الباري : (٤٣٣/٢) .

اللباب والفتح وشرح المختار إنها قريبة من الوجوب لمن له سعة ، وقد ذكر في الفتح ما ورد في فضل الزيارة وذكر كيفيتها وآدابها وأطال في ذلك وكذا شرح المختار واللباب . اهـ

قوله: "ويبدأ إلخ". قال في شرح اللباب: وقد روي الحسن عن أبي حنيفة إنه إذا كان الحج فرضاً ، فالأحسن للحاج أن يبدأ بالحج ثم يثني بالزيارة وإن بدأ بالزيارة جاز .[١٣٧] اهـ

قال علي القارى :

وقد فرَّط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرّم السفر لزيارة النبي ﷺ كما أفرط غيره حيث قال: كون الزيارة قربة معلومة من الدين بالضرورة، وجاحدة محكوم عليها بالكفر، ولعلَّ الثاني أقرب للصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً ، لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه في هذا الباب[١٣٨] . اهـ

قال القاضي عياض :

فصل في حكم زيار المصطفى ﷺ وفضيلة من زاره وسلَّم عليه، وكيف يسلم ويدعو : وزيارة قبره ﷺ سنَّة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلةً مرغب فيها.[١٣٩] اهـ

وقال نقلاً عن ابن عبد البر :

الزيارة مباحة بين الناس ، وواجب شد المطي إلى قبره ﷺ .

١٣٧ رد المحتار على الدر المختار : (٢/٢٥٧) .

١٣٨ شرح الشفا (٢/ ١٥٢) .

١٣٩ الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٩٤) الفصل التاسع .

قـ ال عياض : يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض . اهـ.[١٤٠]

قال ابن قدامة المقدسي :

ويســتحب زيارة قبر النبي ﷺ لما روى الدارقطني بإســناده عن ابن عمر قال: قال رســول الله ﷺ : «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي» وفي رواية: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» رواه باللفظ الأول سعيد، وقال أحمد في روايــة عبد الله عن يزيد بن قُسَيْط عن أبي هريرة أن النبي ﷺ: قـ ال: «ما من أحد يسلم عليَّ عند قبري إلا رد الله عليَّ روحي حتي أرد عليه الســلام»، وإذا حج الذي لم يحج قط، يعني من غير طريق الشام، لا يأخذ على طريق المدينة، لأني أخـ اف أن يحدث به حدث، فينبغي أن يقصد مكة مــن أقصر الطــرق ولا يتشاغل بغيره .

ويروى عن العتبي قـــ ال : كنت جالســاً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْــتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْــتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُــولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾ [النسـاء: ٦٤]، وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول :

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنَّ القاع والأكم
نفسي الفـداء لقبرٍ أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكـرم

ثم انصرف الأعرابـي فحملتني عيني فنمت فرأيت النبي ﷺ فـي النوم، فقال: يا عتبي ؛الحَقْ الأعرابـيَّ فبشره أنَّ الله غفـر له [١٤١].

١٤٠ الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٩٦) .

١٤١ الحاوي الكبير (٤/ ٢١٥) .

قال البهوتي :

(**فصل**): وإذا فرغ من الحج استحب له زيارة النبي (ص) ، وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لحديث الدارقطني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي»، وفي رواية: «من زار قبري وجبت له شفاعتي» .

تنبيه: قال بن نصر الله [١٤٢] : لازم استحباب زيارة قبر الرسول ﷺ استحباب شد الرحال إليها، لأنَّ زيارته للحاج بعد حجة لا تمكن بدون شد الرحال، فهذا كالتصريح باستحباب شد الرحل لزيارته ﷺ . وذكر قصة العتبي التي تقدم ذكرها.

وفي متن المقنع: إذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺ وزيارة قبر صاحبيه رضي الله عنهما [١٤٣] .

قال المرداوي :

قوله: إذا فرغ من الحج استحب له زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه: هذا المذهب وعليه الأصحاب قاطبة متقدمهم ومتأخرهم [١٤٤] . اهـ

وفي زاد المستقنع :

"ويستحب زيارة قبر النبي ﷺ وقبر صاحبيه رضي الله عنهما. [١٤٥] اهـ

هذه نقول بعض السادة من فقهاء المذاهب، ذكروا فيها إجماع المسلمين على زيارة قبر النبي ﷺ ، وأن ذلك واجب لما تقدم من أحاديث الزيارة، وأن المعتمد هو

١٤٢ كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٥١٤) .

١٤٣ المبدع في شرح المقنع (٣/ ٢٣٦) .

١٤٤ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٤/ ٥٣) .

١٤٥ الكافي في فقه الإمام أحمد (١/ ٥٣٢)، الروض المربع شرح زاد المستقنع (ص: ٢٨٣) .

العمل بالحديث لا متن الحديث، لأن إجماع الأمـــة تشريع، وقـــد زكى النبي ﷺ أمته، فقال: إنها لا تجتمع على ضلالة، ومن شذ، شذ في النار[١٤٦]

تخريج أحاديث الزيارة:

زعم الوَهابيَّة أن أحاديث زيارة النبي ﷺ موضـوعة، وبالتالي اسـتدلوا على حرمة الزيـارة وقـالوا بمنعهـا، ولو لم يرد إلا حـديث: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ، فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي الدُّنْيَا، وَتُذَكِّرُ الْآخِرَةَ» [١٤٧] لكفلنا دليلا، لأن قبر النبي ﷺ وصـاحبيه داخلة في عموم هذا الحديث ، ومع ذلك فقد خرج أحاديث الزيارة جمع من العلماء، وكان أولهم شيخ الإسـلام علي بن عبد الكافي السـبكي، في شـفاء السـقام، والدكتور محمود سـعيد ممدوح الأزهري في رفع المنارة، وغيرهم، وسـأنقـــل تخريج الدكتور محمود ســعيد ممدوح مختصرــاً، ومن أراد الزيادة فعليه بكتابه، فإنه أجاد فيه وأفـاد، قال في مقدمة كتابه: شاع بين كثير من الناس أن أحاديث الزيارة كلها ضعيفة بل موضوعة، وهــو خطأ بــلا ريب، ومصــادمة لقواعد الحديث بلا مين، ويكفى اللبيب قول الذهبى الحافـظ الناقـد عـن حديث الزيارة: طرقه كلها لينة، لكن يتقوى بعضها ببعض، لأن ما فى رواياتها متهم بالكذب، نقله عنه السخاوى، وأقره فى المقاصد الحسنة (ص ٤١٣) .

١٤٦ سنن ابن ماجه (٢/ ١٣٠٣، رقم:٣٩٥٠)، سنن الترمذي ت بشار (٤/ ٣٦، رقم:٢١٦٧)، السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٩، رقم:٨٠)، الكنى والأسماء للدولابي (٢/ ٨٢٠، رقم:١٤٣١)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١١٨، رقم:١٥٤)، الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ١٣٣، رقم:٧٠١)، الجامع الصحيح للسنن والمسانيد (١٨/ ٤١٦)، شرح السنة للبغوي (١/ ٢١٥)، المستدرك على الصحيحين للحاكم (١/ ١٩٩) .

١٤٧ سنن ابن ماجه (١/ ٥٠١، رقم:١٥٧١) .

ومنشأ هـذا الخطأ هو الاعتماد على كتاب: "الصارم المنكى فى الرد على السبكى" للحافظ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادى رحمة الله تعالى عليه .
وكنت أرى الإحالة على هـذا الكتاب مـن كثير مـن الكُـتَّاب سواء مـن المشتغلين بالحديث أو غـيرهم، فأكتفي بالسكوت رغـبة في اغتنام فرصةٍ لتحقيق مدى صحة هذه المقولة .

وبعد النظر في "الصارم المنكي" وتحقيق أحـاديث الزيـارة ، رأيت الهول في هـذا الكتاب ، فتراه يتعنت أشد التعنت فـي رد الأحاديث عند كلامه على الرجـال، ويطوِّل الكلام جداً على الرجال ناقلاً ما يراه يؤيد رأيه وهو الجرح ، ولا يـذكرمن التعديل إلا ما يوافقه، كما فعل مع عبد الله بن عمر العمري ، وتطويله للكلام يخرجه عن المقصود إلى اللغو والحشو مع التكرار الممل،
انظر مثلاً: ص:٢٢٦ ، ٤٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٣١٥ ، ٢٩٠ ، ١٣٠ ، ١٥٤ ، ١٦٨ ، ١٣٢ ، ٣١ إلخ وهو يذكر أبحاثاً خارجة عـن المقصود كالبحث المتعلق بالمرسل وطرق الحديث الذى فيه حفص بن سليمان القاري، ويطـيل الكتاب جـداً بـذكر فتوى في الزيارة لابن تيمية عقب كل حديث في الزيارة ، وحاصلها مكـرر ومعروف ، ولـو اختصر الكتاب بحذف كل خارج عن المقصود لجاء فى جزء صغير .

أما تهجمه على الإمام المجتهد التقي السـبكي فحدث ولا حرج، وخذ مثلاً (ص: ٢٠، ٦٢، ٩٥)، وعند المحاققة تجد الحق مع الإمام المجتهد السـبكي ، ففي (ص: ٢٠) اختلف في نقل عن أبي محمد الجويني ، والصـواب فيه مع السـبكي كما يُعلم من شفاء السـقام (ص:١٢٢–١٢٣) ونصـرة الإمام السـبكي للسمنودي (ص: ٤) ، وأحيانـاً يأتي بتعليلات للأحاديث خارجة عن قواعد الحديث ، كقوله عند محاولة تضـعيف بعض الأحاديث : لم يخرّجه أحد من أصـحاب الكتب السـتة ولا رواه

الإمـــام أحمد فى مسـنده ... إلخ ، وغير خفي أنّ هذا التعليل فيه نظر، فـــ العبرة بالإسناد، ولو كان الحديث في جزء غير مشهور وانظـــر (ص: ٢٢٧) وما بعدها فى هذا الكتاب، وقد أكثر في كتابـه مـن الدعاوى على التَّقى السبكي من غير برهان .

ومن الآفات المردية انتصار الإنسان لشيخه ولو فى خطأ بَيِّنٍ فى الأصول .

قلت: وقد قرأت كتاب الصـارم المنكي، فألفيته كتاباً شـاذاً عن الأسـلوب العلمي، سواء من مراعاة الأدب مع العلماء، أو مـــن الصناعة الحديثية، وأسلوب التعصب المذهبي غالب عليه، وقـــد سـلك فيه مسـلك الإفراط الخارج عن قواعد أهل الحديث .

وكتاب الصـارم المنكي هو رد على كتاب: «شـفاء السِّـقام فى زيارة خير الأنام» للإمام التقي علي بن عبد الكافي السبكي، قاضي القضاة، قال عنه الحافظ الذهبي، تلميذ ابن تيمية:

لِـيَهْـن الـمنبرُ الأمَـــوي لَمّـا علاه الحاكمُ البحرُ التقي
شيوخُ العصر أحفظهُم جميعاً وأخطبـهم وأقضاهُـــم عليّ

أنفس كتاب صُـــنف في هذا الباب ، جمع فيه مؤلفه بين النقل والعقل ، وزاد أبواباً في غاية الأهمية كالتوســل ، وحياة الأنبياء ، والشـــفاعة وغير ذلك، وعظَّم الجناب النبويَّ الشريف ﷺ وبـارك عليه، وكان عفَّ اللسان قـويَّ الحجة ناصع البرهان .

وأنشـد الصـلاح الصـفدي فى ترجمة التقي السـبكي فى كتابه الوافي بالوفيات (٢١ / ٢٥٦) فى مدح شفاء السقام هذه الأبيات :

لقـول ابـن تيمـية زخـــرف أتـى في زيـارة خير الأنام

فجائت نفوس الورى تشتكي إلى خير حبرٍ وأزكى إمام
فصنف هذه وداواهم فكان يقينا شفاء السِّقام

(**الحديث الأول**) «من زار قبري وجبت له شفاعتي»:

أخرجه الدارقطني في سننه (٢٧٨/٢) ، والدولابي في الكنى والأسماء (٦٤/٢) ، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٩٠/٣) ، والخطيب في تلخيص المتشابه في الرسم (٥٨١/١)، وابن الدبيثي في النيل على التاريخ (١٧٠/٢)، وابن النجار في تاريخ المدينة (ص١٤٢)، والعقيلي في الضعفاء (١٧٠/٤) ، وابن عدي في الكامل (٢٣٥/٦)، والسبكي في شفاء السقام (ص٢-١٤)، جميعهم من طرق عن موسى بن هلال العبدي ، عن عبيد الله بن عمر وعبد الله بن عمر كلاهما عن نافع ، عن ابن عمر به مرفوعاً، وهذا الإسناد حسن سواء قال موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر أو عن أخيه : عبد الله بن عمر أو عنهما .

وقد صححه عبد الحق الإشبيلي ، وصححه أو حسنه السبكي في "شفاء السقام" ، والسيوطي في "مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا" ، و آخرون ممن تأخروا عنه .

(**الحديث الثاني**): «من زارني في مماتي كان كمن زارني في حياتي ، ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له شهيداً يوم القيامة» .

أخرجه العقيلي في "الضعفاء" (٤٥٧/٣)، ورواه تقي الدين السبكي في "شفاء السقام" (ص:٣٨) بسنده إلى ابن عساكر الذي أخرجه من طريق العقيلي المذكور ولفظه : «من رآني في المنام كان كمن رآني في حياتي ... » الحديث .

والصواب ما في ضعفاء العقيلي ، وإن كانت رواية ابن عساكر هي صواب أيضاً ، فلا ضير في ذلك ، فإن لفظ الزيارة ثابت في كلا الروايتين في آخر الحديث .

وأعل هذا الحديث بفضالة بن سعيد بن زميل المأربي ، وبشيخه محمد بن يحيى بن قيس المأربي، أما فضالة بن سعيد بن زميل المأربي فقال العقيلي في "الضعفاء " (٤٥٧/٣) : حديثه غير محفوظ ، ولا يعرف لا به ، ثم قال بعد أن ذكر الحديث محل البحث بسناده : "وهذا يروى بغير هذا الإسناد من طريق أيضاً فيه لين " . اهـ. فدل كلام العقيلي على أمور :

الأول : أن حديث فضالة بن سعيد المأربي غير محفوظ .

الثاني : أنه فرد .

الثالث : أن هذا الإسناد فيه لين .

والأمر الثالث : هو خلاصة نظر العقيلي في هـذا الإسناد أنه فيه لين. واللين هو أقل الضعف، وإن تعجب فعجب من الحافظ الذهبي – رحمه الله تعالى – ففي ترجمته لفضالة بن سعيد بن زميل المأربي ذكـر الحديث موضع البحث ثم قال (٣٤٩/٣) : "هذا موضوع على ابن جريج" . ولا يوجد في الإسناد أو المتن ما يساعده على دعواه، فهي دعوى لا برهان عليها ، ولا ذكر الذهبي دليلاً يشهد لها ، وكلام العقيلي هنا أقوى وأقعد .

(الحديث الثالث) «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة» .

أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤٨٨/٣) ، وحمزة بن يوسف السهمي في تاريخ جرجان (ص:٤٣٤) ومن طريقه السبكي في شفاء السقام (ص:٣٥) ، وابن أبي الدنيا في كتاب "القبور" كلهم من طريق محمد بن إسماعيل بن أبي فديك عن سليمان بن يزيد الكعبي أبي المثنى، عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة»

قلت : محمد بن إسماعيل بن أبي فديك ثقة احتج به الجماعة، لكن أبا المثنى سليمان بن يزيد الكعبي قال عنه أبو حاتم : منكر الحديث ليس بقوي، وضعفه الدارقطني، وقال ابن حبان في "المجروحين": يخالف الثقات في الروايات ، لا يجوز الاحتجاج به ولا الرواية عنه إلا للاعتبار، لكنه ذكره في"الثقات" (٣٩٥/٦) ، وحسن له الترمذي، ومقتضى ذلك أن يكون "صدوق الحديث" عند الترمذي ، قال الحافظ في "تعجيل المنفعة" (ص:١٥٣) : قول الترمذي : "حسن غريب" هذا يقتضي أن الراوي عنده صدوق معروف . اهـ.

وصحح له الحاكم (٢٢١/٤-٢٢٢) وهو يعني أن الرجل ثقة عنده ، فإن أعرضت عن تحسين الترمذي ، وتصحيح الحاكم له ، وتوثيق ابن حبان ، فالرجل ضعفه من النوع الخفيف الذي يزول بمجيء متابع أو شاهد له ، لذلك اقتصر الحافظ على تضعيفه في "التقريب" (ص:٦٧٠) .

وأجاد الحافظ الذهبي فقال في "الكاشف" (٣٣١/٣) : " وثق، وقال أبو حاتم ليس بقوي " . اهـ.

(الحديث الرابع) «من أتى المدينة زائراً لي وجبت له شفاعتي يوم القيامة ، ومن مات في أحد الحرمين بعث آمناً» .

أخرجه يحي بن الحسن بن جعفر في أخبار المدينة كما في "شفاء السقام" (ص٤٠) . محمد بن يعقوب هو الأسدي الزبيري المدني أبو عمر، قال عنه أبوحاتم والنسائي : لا بأس به ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : مستقيم الحديث (التهذيب : ٥٣٣/٩) .

وقال الحافظ في التقريب (ص٥١٤) : "صدوق" .

وعبد الله بن وهب هو الثقة الحافظ الفقيه .

أما بكر بن عبد الله فالذي يظهر لي أنه المزني البصري فهـ و تابعي، ثقة جليل كمـا في "التقريب" (ص١٢٧)، فعلى هـذا فالحديث مرسل، ولولا الرجل المبهم لكان صحيح الإسناد .

واحتمل السـيد السـمهودي في "وفاء الوفا" (١٣٤٨/٤) أن بكر بن عبد الله هو المزني المذكور أو هو بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصاري الصحابي المترجم له في الإصابة (١٦٤/١) .

ومع الاحتمالات الثلاثة المذكورة ، فالحديث ضـعيف الإسـناد فقط (الحديث الخامس) «مـ ن زارني بعـ د موتي فكأنما زارني فـ ي حياتي ، ومـ ن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة» .

أخرجه الدارقطني في سـننه (٢٧٨/٢) ، وأخرجه البيهقي في "شـعب الإيمان" (٤٨٨/٣) والمحاملي والسـاجي كما في الميزان ، وعلقه بن عبد البر في الاسـتذكار ، ورواه البخاري في تاريخه فقال : ميمون بن سـوار العبدي عن هارون أبي قزعة عن رجل من ولد حاطب عن رسـول الله ﷺ : «من مات في أحد الحرمين...» . وليكن الضـعف في هذا الحديث غير شـديد ، بل ضـعفه قريب ويحتج الفقهاء بمثله في إثبات مشروعية أمـر ما، ودونك كتب الفقه لتتحقق مـن صحة مقولتي ، فكيف ولأحاديث الزيارة طرق بعضـها من شرط الحسـن، فـ إذا وقفت بعد على قولهم : أحاديث الزيارة ضـعيفة بل موضـوعة فاضرب بقولهم عرض الحائط لأنه مخالف للقواعد .

وقـد قال الحافظ الذهبي: أجودها (أي أحاديث الزيارة) إسناداً حديث حاطب، وأقره السـخاوي في "المقاصـد الحسـنة" (ص:٤١٣) ، والسـيوطي في "الدرر المنتثرة"

(١٧٣) فهـ ؤلاء ثلاثة مـ ن الحفاظ اتفقوا على مقولة تـ دحض المخالف ، وهم السعداء لا يشقى جليسهم .

(الحديث السادس) «مـ ن زار قبري أو قال مـ ن زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً من مات في أحد الحرمين بعثه الله من الآمنين يوم القيامة» .

أخرجه أبـ و داود الطيالسي فـ ي منحة المعبود (٢٢٨/١) ، والبيهقي فـ ي السنن الكبرى (٢٤٥/٥) ، وفي شعب الإيمان (٤٨٨/٣) .

وأخرجه البيهقي فـ ي شعب الإيمان (٤٨٩/٣) من حديث شعبة بن الحجاج عن سوار بن ميمون ، نا هارون بن قزعة ، عن رجل من آل الخطاب عن النبي ﷺ وقال العقيلي : والرواية في هذا لينة (١٧٠/٤) .

فاختلف حديثا شعبة وأبي داود الطيالسي وخلافهما يرجع لأمرين :

الأول : قـ ال شعبة : عـ ن سوار بن ميمون ، عن هارون بن قزعة، ولم يذكر أبو داود هارون بن قزعة .

الثاني : الاختلاف فيمن رفع الحديث .

وهـ ذا الاختلاف لا مدخل لشعبة ولأبـ ي داود الطيالسي فيه فكلاهما من كبار الحفاظ الثقات خاصة أولهما فتوهيم أحدهما – كما فعل ابـ ن عبد الهادي – فيه نظر .

والحاصل أن الحديث ضعيف بهذا الإسناد فقط ، وليس بموضوع .

الخلاصة: تبين فيما مضى أن أحاديث الزيارة فيها الحسن، والضعيف المنجبر، وليست موضوعة كما ادعاها ابن تيمية، وابن عبد الهادي، وابن باز، وقد اعتمدها الفقهاء في كتبهم، فهي صالحة للاستدلال، وعليه جرى العمل.

التقليل من شأن السلام على النبي ﷺ :

إن السلام على النبي ﷺ مشروع لكل مسلم، فيسلم عليه إذا زاره في المدينة، وإن لم يزره يسلم عليه من بعيد، وفي ذلك فضيلة، ولمن فعل ذلك أجر، بل يحظى بشفاعته ﷺ ، وعلى هذا كانت أمة الإسلام على مر عصورها، وكانت جل زيارتهم بعد موسم الحج، فلا يعودون إلى بلدانهم حتى يتشرفوا بالسلام عليه في مدينته ﷺ

قال ابن تيمية: إن هذا السلام عليه عند قبره الذي قال فيه: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام» ليس من خصائصه ولا فيه فضيلة له على غيره، بل هو مشروع في حق كل مسلم حي وميت، وكل مؤمن يرد السلام على من سلم عليه، وهذا ليس مقصودا بنفسه، بل إذا لقيه سلم عليه، وهكذا إذا زار القبر يسلم على الميت، لا أنه يتكلف قطع المسافة واللقاء لمجرد ذلك [١٤٨]. بل يعتبر ابن تيمية أن من سلم على النبي ﷺ عند قبره فسمع رد السلام إنما ذلك شيطان تمثل بالنبي ﷺ .

ولكنه غاب عنه أن الشيطان لا يتمثل به ﷺ لا حياً ولا ميتا .

التنقيص من السيدة عائشة :

تعرضت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها للطعن من المنافقين، وذلك في غزوة بني المصطلق، وهي حادثة الإفك المشهورة، وهي في الصحيحين وكان تعامل النبي ﷺ مع هذه القضية أنه لم ينف الخبر ولم يؤيده وقوفاً مع الحكمة، وانتظر حتى نزل عليه الوحي، وكانت تبرئتها سببا في تشريع حكم حد القذف .

١٤٨ مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤١٣) .

فلو سارع النبي ﷺ لرد هذه الفرية لقالوا: إن محمداً يدافع عن عائشة لكونها زوجته، وكذلك أبو بكر الصديق، لذلك تعامل مع القضية وكأنه لا يعرف شيئاً عن السيدة عائشة، وهو يعلم ﷺ أن الله تعالى أمره بالزواج منها، وأن الله لا يختار له إلا الأفضل، لكن تشريعه للأمة أن يأخذوا في مثل هذه القضايا بالأدلة .

لكن ابن تيمية لم يعجبه هذا بل ادعى أن النبي ﷺ ارتاب في أمر السيدة عائشة، قال: وَفِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّهُ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي قِصَّةِ الْإِفْكِ قَبْلَ أَنْ يَعْلَمَ النَّبِيُّ بَرَاءَتَهَا، وَكَانَ قَدِ ارْتَابَ فِي أَمْرِهَا [١٤٩] .

قلت: يدعي ابن تيمية الاطلاع على اللوح المحفوظ والنبي ﷺ لا يعلم عن حال زوجه شيئاً، فقد جاء عن تلميذه ابن القيّم قال: أخبر الأمراء والناس سنة (٧٠٢) هـ لما تحرك التتار وقصدوا الشام أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يميناً، فقيل له: قل إن شاء الله فقال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً، فلما أكثروا عليه قال: لا تكثروا كتب الله في اللوح المحفوظ أنهم منهزمون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام [١٥٠] .

فيا سبحان الله!! ابن تيمية يُنسب له علم الغيب والاطلاع على اللوح المحفوظ والكشف وغير ذلك، ويتكلم عن النبي ﷺ وكأنه شخص عادي مرة يقول: أنه لا يعلم المنافقين، ومرة ينفي أن يكون عند النبي تمييز بين الحق والباطل ويقول: لا يقدر على ذلك نبي ولا غيره .

١٤٩ منهاج السنة النبوية (٧/ ٨٠) .

١٥٠ مدارج السالكين ٢ :٤٨٩.

تنقيص سيدنا علي :

يتهم ابن تيمية سيدنا علياً بأن كان يؤذي السيدة فاطمة، وأن من آذى فاطمة فقد آذى رسول الله، ثم يتهمه بأنه لم يهاجر إلى الله ورسوله، بل كان غرضه من الهجرة دنيوي:

قال: لَكِنَّ الْمَقْصُودَ أَنَّهُ لَوْ قُدِّرَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ آذَاهَا (فاطمة) فَلَمْ يُؤْذِهَا لِغَرَضِ نَفْسِهِ، بَلْ لِيُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُوَصِّلَ الْحَقَّ إِلَى مُسْتَحِقِّهِ. وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ قَصْدُهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ عَلَيْهَا، فَلَهُ فِي أَذَاهَا غَرَضٌ، بِخِلَافِ أَبِي بَكْرٍ، فَعُلِمَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ أَبْعَدَ أَنْ يُذَمَّ بِأَذَاهَا مِنْ عَلِيٍّ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَصَدَ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ بِمَا لَا حَظَّ لَهُ فِيهِ، بِخِلَافِ عَلِيٍّ؛ فَإِنَّهُ كَانَ لَهُ حَظٌّ فِيمَا رَابَهَا بِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ كَانَ مِنْ جِنْسِ مَنْ هَاجَرَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَهَذَا لَا يُشْبِهُ مَنْ كَانَ مَقْصُودُهُ امْرَأَةً يَتَزَوَّجُهَا [١٥١] .

وحتى لا أطيل فإني سأشير إلى بعض سقطات ابن تيمية بحق النبي ﷺ وآل بيته، مع ذكر المصدر:

- ابن تيمية يصرح بـأن الحزن علـى رسول الله ﷺ لا فائدة فيه . منهاج السنة (٤٥٩/٨).
- ابن تيمية يقلل من جناب النبي ﷺ ويدعي أن قرابة النبي ﷺ لا تنفع . (دقائق التفسير٤٨/٢).
- ابن تيمية ينكر فضائل السيدة فاطمة عليها السلام (منهاج سنته ٢٤٨/٤).
- طعنه في دين سـيدنا علي رضي الله عنه ويتهمه بأنه لم يهاجر إلى الله ورسـوله وإنما كانت هجرته من أجل امرأة يتزوجها (منهاجه ٢٥٥/٤).

١٥١ منهاج السنة النبوية (٤/ ٢٥٥) .

- وهذه بعض أقواله فـي سيدنا علي حسبما أورده الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة (١٨١/١_١٨٢): ومنهم من ينسبه (أي ابن تيمية) إلى النفاق لقوله فـي علي: إنه كان مخذولاً أين ما توجه، وإنه حاول الخلافة فلـم ينلها، وإنما قـاتل للرياسة لا للديانة، وإن علياً أسلم صبياً والصبي لا يصح إسلامه، وبكلامه فـي قصة خطبة بنت أبي جهل ومات وما نسيها.
- تكذيبـه القرآن الكريـم بأن الله تعالى لم يطهـر جميـع آل بـيت رسـول الله ﷺ (منهاجه ٢٥٩/٤).
- ادعاؤه أن من رأى النبي ﷺ في النوم ضعيف في دينه، وبـه نفـاق ومـن المؤلفـة قلوبهم . (قاعدة في المحبة ١٩١/١).
- ادعاؤه أن من سلّم على النبي ﷺ عند قبره فسمع رد السّلام فإن الشيطان هو الذي يردّ عليه وليس النبي ﷺ .(مجموع الفتاوى ٣٩١/٢٧).
- ابن تيمية يحاول جاهداً إثبات أن النبي ﷺ كان من المذنبين، انظر هذه القضـية في هذه المصادر من مؤلفاته:

مجموع الفتاوى (٣٠٩/١٠، ٣١٣، ٣١٤، ٣٣٧/٢) (منهاجه٤٣٢/٢، ٢١٠/٦).

الألباني يتهم أمهات المؤمنين:

ومن ذلك ما فاه به الألباني مـــن جـــواز الزنا على نساء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وكذلك أمهات المؤمنين رضي الله عنهن كما جاء في صحيحته (٥٣٠/٤) حديث رقم (١٩٠٤) . وإنـي أسأل هذا الألباني وأتباعه من بعده ما هي الفائدة التي يجنيها المسلم من هذا العلم، فالأنبياء هم الآن في الرفيق الأعلى، وبناتهم ونساؤهم أضـــحوا الآن في البرزخ، والتكلم على آل بيتهم بمثل هذه الأمور أليســـت هي من

سبيل القذف والرجم بالغيب، والذي يوجب الحد، وهو مما يسقط الشهادة والعدالة، والقائل بمثل ذلك يقع تحت قـــ وله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُـهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَـــ انِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَـهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (النور:٤).

هـــ ذا وإني سأحاكم هـــ ذا الألباني على مقولته التي فاه بها لسانه وكتبها قلمه، وسـأصـــ ـدر عليه حُكماً حكم به على نفسـه، وبنفس الكتاب الذي قذف به أمهات المؤمنين زوراً وبهتانـــ ا، قـــ ال الألباني في صحيحته (٣: ٤٧٥، رقم ١٤٨٧): قال رسول الله ﷺ إن أعظم الناس فريةً لرجلٌ هجا رجلاً فهجا القبيلة بـــ أسرها، ورجلٌ انتفى من أبيه، ورجلٌ زنّى أمـــ ه»، أي رجل نسب أمه إلى الزنا من غير دليل ولا شهود، فـــ إذا كان الألباني مؤمناً فقد زنّى أمهاته أزواج رسول الله ﷺ وبذلك فقد أعظم الفريـــ ـة، فإن الله تعالى قال: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ وإن لم يكن مؤمناً فيكفيه ذلك.

إن الله تعالى غار على رســوله ﷺ فحرّم نكاح أزواجه في قرآن يتلى على مرّ الدهر، ﴿وَمَا كانَ لَـــكُمْ أَنْ تُؤذُوا رَسولَ اللهِ ولا أنْ تَـــنْكِحُوا أزواجَهُ مِنْ بَعدِهِ أبداً إنّ ذَلِـكُمْ كَانَ عِندَ اللهِ عَظيماً ﴾ الأحزاب ٥٣).

تكفيرهم والدي النبي ﷺ :

وهذا مشهور عند الوَهابيَّة، بل لا ينتطح فيه عنزان، وصرح بذلك ابن باز، وابن عثيمين، والحويني، وغيرهم .

مع العلم أن الوالدين توفِّيا في الفترة، أي قبل بعثة النبي ﷺ وأن الله تعالى قد أعتق أهل الفترة بقوله: ﴿وَمَا كُنَّا مُعذِّبينَ حتَّى نَبعثَ رَسولا﴾، وعلى ذلك أجمعت أمة الإسلام ، ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا أفرادا قلائل، ومجموعهم لا يقدح في الإجماع .

النهي عن الصلاة على النبي ﷺ :

الصلاة على النبي صلى اللهُ عليه وسلَّم عبادة مشروعة بنص القرآن وصحيح السنة، وإجماع المسلمين، وجاء تخصيص الذكر فيها في مواطن منها: يوم الجمعة وليلتها، وبعد الأذان، فيستحب الإكثار منها، لكن الوهابية لبغضهم للنبي ﷺ قالوا بمنعها بعد الأذان، ومنع الإكثار منها يوم الجمعة، فقد روى الإمام احمد زيني دحلان في كتابه «فتنة الوهابية» أن ابن عبد الوهاب زعيم هذه الطائفة كان يتأذى من الصلاة على النبي ﷺ ويعاقب من جهر بها، وقد قتل مؤذناً رفع صوته بها بهد الأذان، وسار على نهجه وهابية اليوم فقالوا: إن من صلى على النبي ﷺ بأعداد كبيرة، كمن قالها عشرة آلاف مرة، أو قال: لا إله إلا الله، ألف مرة، فقد تجاوز الذكر المشروع إلى ذكر يشرك بالله .

قلت: هؤلاء بلغوا في التنطع مبلغاً لم يبلغه أسلافهم من غلاة الحنابلة، ولم يبنوا قولهم على أصل معتمد من الكتاب والسنة، وغاية ما وصلوا إليه من دليل هو: أنه لم يفعله النبي ﷺ وتناسوا قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٤١]، والذكر الكثير هو الذي لا يحده عدد من الأعداد الكبيرة، فالأعداد غير محدودة، والأمر واسع، وبإمكان المسلم أن يستغرق وقته

بذكر الله تعالى، وبالصلاة على رسول الله ﷺ لذا فتحديد المطلق بعدد معين يمنع الزيادة عليه هو البدعة المخالفة للنص القرآني .

قال حسام العقاد: ومن البدع في هذه الحلقات أن يحدد الشيخ أرقاما ليقولها الذاكر، فيقول: قل: لا إله إلا الله، ألف مرة مثلا، أو الصلاة على النبي عشرة آلاف مرة، أو أكثر، وكل هذا لم يرد في شرعنا، وهو من ابتداع الجاهلين، لقد خرج هؤلاء عن الذكر الشرعي إلى ذكر يشرك بالله تعالى [١٥٢] .

قلت: الفرقان بين المسلم والكافر هو: شهادة التوحيد؛ لا إله إلا الله، وبناء على رأي هؤلاء أن من قالها مرة واحدة فقد دخل الإسلام، ولكن إن قالها ألف مرة فقد أشرك بالله تعالى !!

وكذلك الصلاة على النبي ﷺ فهذا الفعل باشره الله تعالى بنفسه، وباشرته ملائكته وأمر المكلفين من الجن والإنس بالإكثار من الصلاة عليه، وقد جاءت أحاديث مرغبة بالذكر الكثير منها:

أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «يَا مُعَاذُ كَمْ تَذْكُرُ كُلَّ يَوْمٍ عَشَرَةَ أَلْفِ مَرَّةٍ؟» قَالَ: كُلَّ ذَلِكَ أَفْعَلُ، قَالَ: " أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَاتٍ هُنَّ أَهْوَنُ عَلَيْكَ مِنْ أَكْثَرِ مِنْ عَشَرَةِ أَلْفٍ وَعَشَرَةِ أَلْفٍ؟ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ كَلِمَاتِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَدَدَ خَلْقِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ زِنَةَ عَرْشِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِلْءَ سَمَاوَاتِهِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِلْءَ أَرْضِهِ، اللَّهُ أَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَهُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَهُ، لَا يُحْصِيهِ مُحْصٍ مَلَكٌ وَلَا غَيْرُهُ » [١٥٣]

١٥٢ **حلقات ممنوعة (ص:٢٥) .**

١٥٣ **الكنى والأسماء للدولابي (١/ ١١٥) .**

«مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَلْفَ مَرَّةٍ، فَقَدِ اشْتَرَى نَفْسَهُ مِنَ اللَّهِ، وَكَانَ مِنْ آخِرِ يَوْمِهِ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ »[١٥٤].

«مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ أَلْفَ مَرَّةٍ جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَوْقَ كُلِّ عَمَلٍ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ زَادَ فِي التَّهْلِيلِ»[١٥٥].

«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي يَوْمٍ أَلْفَ مَرَّةٍ، لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»[١٥٦].

هذا بضعة أحاديث جاء فيها الترغيب من النبي ﷺ بتكرار ذكر معين منها: التهليل، والتسبيح، والصلاة على النبي ﷺ بألف مرة في اليو وأكثر إلى عشرة آلاف، فهل يأمر النبي ﷺ أمته بالشرك؟ وهل تنفيذ أمر مولانا سبحانه وتعالى بذكره ذكراً كثيرا يفضي إلى الشرك؟

تحريمهم المولد النبوي :

المولد هو تعبير عن فرح المسلم بالنعمة المهداة، التي جعلها الله رحمة للعالمين، فلولا رسول الله لم نعرف إسلاما، لذلك قام المسلمون بشكر الله تعالى على هذه النعمة، وأعلنوا فرحهم بها أخذاً من قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ﴾ [يونس: ٥٨]، لكن الوهابية اعتبروا فرح المسلم بنبيه شركاً بالله تعالى، واجتمعت كلمة علمائهم على ذلك، قال أبو بكر الجزائري:

١٥٤ مكارم الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٨١).

١٥٥ الدعاء للطبراني (ص: ١٢٦).

١٥٦ الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين (ص: ١٤).

"وهل دعاء غير الله، والذبح والنذر لغير الله، غير شرك وحرام؟ وهذه الموالد ما قام سوقها إلا على ذلك " [١٥٧] .

فاعتبروا أن الاحتفال بيوم المولد النبوي هو ذبح وإطعام لغير الله، وشرك وحرام، وهذه طامة بحد ذاتها .

ومن مظاهر عدائهم وبغضهم للنبي ﷺ طمس معالم النبوة في بلاد الحرمين، ومنها: قبر النبي ﷺ وقبته الخضراء المبنية عليه .

القبة الخضراء :

فقد حاولوا مراراً تصريحا وتلميحاً لإزالة القبة الخضراء، ونبش القبر الشريف، ونقل جثمانه إلى البقيع، لكن خشيتهم من سطوة المسلمين في أرجاء المعمورة منعت ذلك .

ومن مشايخهم ومراجعهم في اليمن مقبل الوادعي، فقد كتب رسالة ماجستير بعنوان: «حكم القبة المبنية على قبر الرسول ﷺ »، وأفتى فيها بوجوب هدم القبة الشريفة وهدم المسجد، وجعل القبر الشريف خارج المسجد، فجرت مناقشات حول كتابه في شبكات الإنترنت، منها في موقع القلعة السلفي بتاريخ: (٢٠٠١/٣/١٨):
http://www.qal.٣ah.net:٤٤٤٤/vb/index.php

وقد أجازت لجنة المناقشة هذه الرسالة، وطبعت .

[١٥٧] الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف (ص: ٤٢) .

قال عبد العزيز البرعي اليمني، تحت عنوان عباد الأصنام: "إن عبادة الأصنام كثيرة في زماننا.. ومن تلك الأصنام : قبر الرسول" [١٥٨] .

موقع ابن باز:

اعترف ابن باز أن منع هدم القبة الخضراء هو دفع الفتنة فقط، قال:
أما قبة النبي ﷺ فهذه حادثة أحدثها بعض أمراء الأتراك في بعض القرون المتأخرة في القرن التاسع أو الثامن وترك الناس إزالتها لأسباب كثيرة منها:

- جهل الكثير ممن يتولى إمرة المدينة .
- خوف الفتنة؛ لأن بعض الناس يخشى الفتنة، لو أزالها لربما قام عليه الناس وقالوا: هذا يبغض النبي ﷺ وهذا كيت وكيت، وهذا هو السر في بقاء الدولة السعودية لهذه القبة؛ لأنها لو أزالتها لربما قال الجهال وأكثر الناس جهال: إن هؤلاء إنما أزالوها لبغضهم النبي ﷺ، لا يقولون لأنها بدعة، فالحكومة السعودية الأولى والأخرى إلى وقتنا هذا إنما تركت هذه القبة المحدثة خشية الفتنة، وأن يظن بها السوء، وهي لا شك أنها والحمد لله تعتقد تحريم البناء على القبور وتحريم اتخاذ القباب على القبور .

المستغيث بغير الله مشرك:

هكذا هو مذهب الوهابيين، يكفرون المسلم لمسألة فرعية من مسائل الفقه:
قال ابن باز: فظهر دين الله على سائر الأديان، بعد دعوة متواصلة، وجهاد طويل من رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، والتابعين لهم بإحسان؛ ثم تغيرت الأحوال، وغلب الجهل على أكثر الخلق، حتى عاد الأكثرون إلى دين الجاهلية، بالغلو

[١٥٨] قوارع الأسنة في الرد على أعداء السنة .

في الأنبياء والأولياء، ودعائهم والاستغاثة بهم، وغير ذلك من أنواع الشرك، ولم يعرفوا معنى لا إله إلا الله كما عرف معناها كفار العرب، فالله المستعان .
ولم يزل هذا الشرك يفشو في الناس إلى عصرنا هذا بسبب غلبة الجهل وبعد العهد بعصر النبوة.

خيرية النبي ﷺ :

من المجمع عليه أن النبي ﷺ هو خير خلق الله على الإطلاق، لكن الوهابية لم يرق لهم ذلك، فقالوا: لم يقم الإجماع على ذلك، قال ابن عثيمين:
"وردت في فضائل النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه أدلة كثيرة جدا ، ولم يرد – فيما نعلم - دليل صريح فيه النص صراحةً على أن النبي ﷺ أفضل الخلق ، والذي ورد النص عليه : أنه ﷺ أفضل البشر وسيد ولد آدم .

قلت: لو لم يرد إلا هذه الآية في خيرية النبي ﷺ لكفتنا، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، والعالمون لفظ دخل فيه كل مخلوق لله تعالى، من الجن والإنس والوحش والطير والهوام والملأ الأعلى، وغير ذلك مما لا نعلم، فكل هذا داخل في لفظ العالمين، ومن أرسله الله رحمة إليهم فكيف لا يكون خيراً منهم؟!

مُناقشةٌ وردٌّ

بعد ما عرضنا الطامات العقدية عند الوَهابيَّة وأسلافهم من غلاة الحنابلة، ينبغي مناقشتهم فيما يعتقدونه في ذات الله تعالى، وتفنيد ادعاءاتهم ، فنقول:
إن الوَهابيَّة لا يقولون بالتأويل في الآيات التي يقولون عنها آيات الصفات، وابن القيم شيخهم السابق، وهو تلميذ ابن تيمية، يقول: إن المجاز في القرآن الذي يقول

به الأشاعرة هو طاغوت، وقد ضمّن كتابه: "الصواعق المرسلة" ما يزيد على مائة صفحة سباب وتبديع وغير ذلك بحق الأشاعرة القائلين بالمجاز، وتبعه الوَهابيَّة بأن المجاز في القرآن ممنوع، لأن هذا يعطل الآيات القرآنية عن معناها .

(أولاً) فاليدان هما على الحقيقة، أي أنهم ينسبون لله يدين اثنتين، خلق بهما آدم، وخطَّ بهما التوراة، وينفق بهما كيف يشاء، ونحن نقول: إنه ورد لفظ اليد في القرآن بلفظ المفرد والمثنى والجمع، وكلها أثبتها القرآن لله تعالى، خلق بها آدم، والسماوات، والأنعام، فكم يد لله تعالى؟ فإن قلتم: اثنتان، قلنا: وما القرينة التي اعتمدتموها في ذلك؟ لا شك أنكم ستلجأون إلى التأويل حتى توفقوا بين هذه الألفاظ، وبالتالي رجعتم لقول الأشاعرة، وتناقضتم في الحكم على لفظ اليد، سيما وأن الله يقول عن القرآن: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] .

(ثانياً) والعين أيضاً تقولون إنها على الحقيقة، ونحن نقول: كم عين لله تعالى؟ فإن قلتم: اثنتان، قلنا: وأين ورد ذلك في كتاب الله تعالى؟ وأنتم تقولون: لا نثبت إلا ما أثبته الله لنفسه؟ ثم إنه ورد لفظ العين بلفظ المفرد ولفظ الجمع، فكيف توفِّقون بين اللفظين؟ لا بدَّ أنكم ستضطرون إلى القول بالمجاز .

(ثالثاً) ورد كلمة النسيان، وأن الله تعالى نسبه لنفسه فقال: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الجاثية: ٣٤]﴾، ونحن نقول: هل هذا اللفظ على الحقيقة؟ وأن الله ينسى؟ كما تدَّعون: لا كنسياننا، أم أنه لا ينسى، فإن قلتم: لا ينسى، نقول: لقد نفيتم عن الله شيئاً نسبه لنفسه، وإن قلتم: لا ينسى، فقد عارضتم القرآن الذي نفى النسيان عن الله، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّاً﴾ [مريم: ٦٤] ، وبعد هذا ما هو الجواب عندكم عن النسيان المنسوب إلى الله تعالى؟ لا بدَّ أنكم ستقولون بالتأويل الذي هو المجاز، حتى تخرجوا من هذا المأزق الذي وضعتم أنفسكم فيه .

(رابعاً) إن الوجه هو مما أثبته الله لنفسه في القرآن، فهل هو على الحقيقة أم على المجاز؟ فإن فإن قلتم: هو على الحقيقة، قلنا: هل النهار له وجه، فقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢]، فأين هو وجه النهار؟ الجواب: لا وجه على الحقيقة، إنما هو المجاز، وبالتالي قلنا بتأويل المعنى إلى غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ .

(خامساً): ورد في القرآن آية تصف الصبح بالتنفس، فهل يتنفس الصبح؟ والصبح ليس جسما، وليس له رئتان، فكيف يتنفس؟ فالجواب: هو على المجاز لا على الحقيقة، فإذا قلنا بالتأويل وجب تأويل كل الآيات التي تسمونها بالصفات، لأنه إذا أولنا البعض، وجب تأويل البعض الآخر حتى لا نقع تحت قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥] .

(سادساً): إن الآيات التي وردت بحق الله تعالى وتحتمل أكثر من معنى، سماها الله بالآيات المتشابهة، وأنتم سميتموها بآيات الصفات، وأنتم تقولون: لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه، فأين نجد هذه التسمية في كتاب الله تعالى؟؟

(سابعا): قلتم أن التوراة الموجودة الآن هي التي كانت زمن رسول الله ﷺ وأنها باقية على الأصل، لم يطرقها التبديل ولا التحريف، ولو كان كذلك لنبَّه على ذلك رسول الله ﷺ لذلك استشهدتم بها عند إيرادكم لنصوص التجسيم، ونحن نقول:

إن تحريف التوراة والإنجيل ثبت تاريخياً كما ثبت ذلك دينياً، وسأعرض ذلك:

إثبات التحريف تاريخياً:

عندما ذهب سيدنا موسى عليه السلام إلى الطور وناجى ربه أنزل عليه التوراة مكتوبة في ألواح، وعندما عاد صنع اليهود صندوقاً من خشب السنط وحفظوا فيه الألواح، وكان اليهود يقدّمون هذا الصندوق و المسمى بالتابوت أمامهم في قتالهم مع أعدائهم، إلى أن انهزم اليهود في إحدى معاركهم مع الكنعانيين و تركوه خلفهم، فاستولى الكنعانيون على هذا الصندوق كونه من مخلفات الحرب، وعبثوا فيه، ولما تولى طالوت الملك على بني إسرائيل، كان من آية ملكه أن يعود التابوت إلى بني إسرائيل، وقد جاء ذلك في القرآن الكريم ﴿ وقالَ لهُم نَبيّهُم إنّ آيةَ مُلكِهِ أَن يأتيَكُمُ التابوتُ فيهِ سَكينَةٌ مِن رَبكُم وبقيةٌ مما ترك آلُ موسى و آلُ هارونَ تحملُهُ الملائكة﴾ (البقرة: ٢٤٨) فهذا يثبت أنه ما بقي من الألواح إلا النزر اليسير، و هذا أيضاً يؤكد لنا أن سند التوراة قد انقطع.

ولما حصل السبي البابلي، حيث دخل نبوخذ نصّر مدينة القدس ودمّر ما كان فيها من معالم و قضى على بقايا التوراة، كان ذلك آخر عهد اليهود بالتوراة، وبعد ذلك كان من بين السبايا رجل يدعى عزرا، مكث في البلاط الملكي البابلي ثمانين عاماً، وقد تشرّب عقيدة المجوس، ولما عاد إلى القدس اختلى مدة وكتب ما علق في ذهنه بعد هذه الحقبة الطويلة من الزمن، وكانت هذه الكتابة للتوراة ممزوجة بعقائد البابليين وتراثهم وعقائد الفرس، فإذا بالتوراة الجديدة جاءت خليطاً من عقيدة الفرس و البابليين والكنعانيين والفراعنة وغيرهم، واعتبر اليهود ما جاء في هذا الكتاب الجديد مقدساً رغم ما فيه من عقائد وثنية متعددة الوجود والمنابع، لذا ما حُفظ من توراة سيدنا موسى رسول الله عليه السلام هو قليل جداً نسبة إلى ما دوّنه اليهود من تخيل عقائدي، وإذا كان ما حفظ عنه ظل في عقول بعضهم فإن مصلحتهم الدائمة تقتضي إخفاءه، ومن ثَم تحريفه أو طمسه لخلق تصور عقائدي يتناسب والزمن الذي يعيشون، ويتناسب مع عقائد الشعب الذين يعيشون بين أفراده.

إثبات تحريف التوراة دينياً :

ثبت بما لا يقبل الشك أن التوراة حُرفت، وجاء ذلك مسطراً عند يهود، وعند المسلمين، فمما جاء عند يهود: جاء في سفر عزرا الإصحاح ١١/٧:

"و هذه صورة الرسالة التي أعطاها الملك ارتحشتا لعزرا الكاهن الكاتب، كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل".

فعـ زرا الكاهن الذي تربى فـ ي البلاط الملكي البابلي، والذي تشرب العقيدة الوثنية البابلية والمجوسية هو الذي كتب التوراة لبني إسرائيل عند عودته إلى القدس، لذا تبين أن التوراة الموجودة الآن هي من نسج خيال الكهان و أحبار اليهود بنصّ التوراة نفسها .

و أما ما جاء في القرآن الكريم، فقد أورد القرآن الكريم آيات كريمة تبين أن التوراة محرفة، و ليست هي التي أنزل الله على رسوله موسى ﷺ وأن التحريف نال العقيدة والأحكام فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ (آل عمران: ٧٨) ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ (البقرة:٧٩)﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرائيلَ إِلا مَا حَرَّمَ إِسْرائيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (آل عمران:٩٣) ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيّاً بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْناً فِي الدِّينِ﴾ (النساء:٤٦).

وأما الإنجيل :

فليس هو أقل حظاً من التوراة، إذ أن الله تعالى رفع سيدنا عيسى ﷺإلـى السماء ولم يدوّن الإنجيل، وثمة عوامل سياسية حالت دون تدوينه، وهكذا بقي الحال إلى ما يقارب ثلاثمائة سنة بعد رفع السيد المسيح عليه السلام، حيث تمت كتابة بعض مرويات الحواريين، ثم وقع التحريف والتبديل كما هو الحال في التوراة، ولم يزل التبديل إلـ ى يومنا هذا، ولا توجد طبعة من الإنجيل توافق طبعة أخرى، وإن الإنجيل الذي أنزل على سيدنا عيسى واحد، والأناجيل الموجودة الآن كثيرة منها ما نسب إلى متى، ومنها ما نسب إلى مَرقُص، ومنها ما نسب إلى لوقا، ومنها ما نسب إلى يوحنا، ومنها ما نسب إلى برنابا، وإن الذي نؤمن به هو الإنجيل المنـــزل على سيدنا عيسى ﷺ .

المشاكلة اللغوية :

المشاكلة في اللغة : المشابهة والمماثلة، وفي الاصطلاح : ذكرُ الشيء بلفظ غيرِه لوقوعه في صُحبته، كقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يَجهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

فسمّى تأديب الجاهل على جهله جهلاً من باب المشاكلة ، مع أنّ التأديب والعقاب ليسا من الجهل، والمراد من الجهل هنا السّفَهُ والغضب المنافي للحِلم، وما ينتج عنه من أعمال غير حميدة ، وقد جاء القرآن بلغة العرب، أي على الأسلوب اللغوي من البيان والبديع المتعارف عليه عندهم، ومنه المشاكلة، قال تعالى:

﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤] .. فإنّ مقابلة الاعتداء بمثله لا يُسمّى في الأصل اعتداءً ، ولكن سوّغ هذا الإطلاق داعي المشاكلة ، وليعطي اللفظ معنى المماثلة في تطبيق العقوبة دون زيادة ، لأنّ معنى كلمة: «اعتدى» في الأصل تجاوز حدود الحقّ، ومن العدل أن يُقابَل التجاوز بتجاوز مماثل له .

وقال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وهي بنفس معنى الآية السابقة .

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، فكلمة الإحسان الأولى هي العمل الصالح، والثانية هي الجنة، والمعنى: إن جزاء من آمن بالله وعمل صالحاً في الدنيا الجنة في الآخرة، وجاء بصيغة الاستفهام المفتضي لليوكيد، لكن اللفظ في الآية جاء مختصراً بصيغة الإحسان، من المشاكلة اللغوية، فالجزاء من جنس العمل، ومنه قوله ﷺ: «أُمرتُ أن أبشّر خديجة ببيتٍ في الجنّة مِنْ قَصَبٍ لا صَخَبَ فيهِ ولا نَصَب» [١٥٩] . والقصب هو: اللؤلؤ المنحوت، والصخب هو: الضجة الباعثة على الإزعاج، والنصب الشواغل التي تشغلها عن التنعم بالجنة .

ففي الحديث مشاكلة لغوية وهي التجانس بين العمل والجزاء، العمل في الدنيا، والجزاء في الآخرة .

[١٥٩] صحيح البخاري (٣/ ٦، رقم:١٧٩٢) .

ومن المشاكلة في الحديث لفظ: بيت، فلم يقل قصر، وغيره لكونها أول من بنى وأسس بيتاً في الإسلام، قوامه التصديق برسالة النبي ﷺ ولم يكن على ظهر الأرض بيت إسلام إلا بيتها .. ولذلك ذُكر جزاء الفعل بلفظ الفعل.

كذلك جاء في بعض الآيات المتشابهات مشاكلة لغوية، كقول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، جاء اللفظ المنقول عن اليهود ﴿ يَدُ اللَّهِ ﴾، فجاء اللفظ المشابه لقولهم، مع تأدية المطلوب من دحض مزاعمهم، وتنزيه الله تعالى عن ذلك، مع وصفه بصفات الكمال، وهي الكرم والغنى المطلق، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾، مشاكلة لغوية .

تناقضات الوهابية :

لما كان أساس العقيدة الوهابية على شفا جرف هار، تناقضوا في مسائل العقيدة، ولو كان الأساس مبنياً على أصول المحكم من الكتاب والسنة، لما كان في كلامهم تناقض، قال الفوزان جواباً على سؤال :

ما رأي فضيلتكم فيمن يقول: إن استوى بمعنى جلس، هل يعد من التأويل؟

الجواب: هذا باطل، لأنه لم يرد تفسيره بالجلوس، ونحن لا نثبت شيئاً من عند أنفسنا.[١٦٠]

١٦٠ شرح لمعة الاعتقاد (ص:٣٠٥) .

قال الراجحي جواباً على سؤال: هل الاستواء بمعنى الجلوس؟ فقال: وهذا كلام صحيح لا غبار عليه[١٦١] .

انظر كيف ناقض الفوزان نفسه في الموضعين .

فرض الدين بالقوة :

معلوم أن دين الإسلام لم ينتشر بالقوة العسكرية، بل كان بالتبليغ، ولم يشرع الجهاد إلا لرد الواقفين في طريق تبليغ الدعوة، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، لكن الدعوة الوهابية لم تكن كذلك، لأنها لم تقم على أساس متين من الدين الذي جاء به رسول الله ﷺ فلما تم لمحمد بن عبد الوهاب الغطاء السياسي، والحماية العسكرية من أمير الدرعية؛ محمد بن سعود، بدأ بنشر مبادئه التكفيرية بين قبائل نجد، بقوة السلاح، فخاض مئات المعارك مع القبائل، وقتل منهم عشرات الآلاف، واستولى على ديارهم وأموالهم، حتى أخضعهم بقوة السلاح، وأجبرهم على تبني أفكاره التكفيرية، ثم انتهى به الأمر إلى محاربة أهل المدينة المنورة، ومكة المكرمة اللتين جعلهما الله حرماً آمنا، وحاصرهما حصاراً شديدا حتى أكل الناس الكلاب والجيف، ومنع الحج، وقتل قوافل الحجاج، واتخذ الغدر ونقض العهود ديدناً له للقضاءعلى المخالفين .

المجاز في لغة العرب:

هو صرف المعنى إلى غير ما يدل عليه ظاهر اللفظ، كقولك: «زيدٌ أسد» ففي الحقيقة زيدٌ ليس أسدا، لكنك شبهته به لعلاقة بينهما وهي الشجاعة، فأنت لا تقصد أن

[١٦١] قدوم كتائب الجهاد على غزو أهل الزندقة والإلحاد (ص:١٠١) ، بتقديم الفوزان.

زيدا أسد، بل تقصد أنه شجاع، عبرت عنه بلفظ أسد، لأن الأسد مضرب المثل في الشجاعة .

وأحيانا تنسب الفعل إلى غير فاعله، كقولك: «بنى خوفو الإهرامات»، إن خوفو لم يبنها، وإنما الذي بناها هم البناءون، لكن خوفو هو من أمر بذلك، فنُسب الفعل إليه مجازاً لكونه الآمر بذلك .

والمجاز في لغة العرب له أشكال كثيرة منها الكناية والاستعارة والتشبيه، وغير ذلك يعرفها أهل الاختصاص، وهو الذي أكسب اللغة جمالها، فلولا المجاز لما كان للغة بلاغة ولا جمال .

والقرآن الكريم أنزل بلغة العرب، فقد اشتمل على أنواع البلاغة والفصاحة، والبيان والبديع، بل إنه المرجع اللغوي لعلماء اللغة، يستشهدون بآياته على مسائلهم اللغوية، فتجد آيات كثيرة يستحيل أخذها على ظاهرها، فلا بدَّ من حملها على المجاز، وسأورد آيات هنا فيها المجاز ظاهر، لأثبت من خلالها أن الآيات المتشابهات لا تؤخذ على ظاهر اللفظ، لأن ظاهرها يوهم النقص، أو التجسيم، وأحيانا لا يوجد المعنى الظاهر أصلا كما سأوضحه.

(١) قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، فهل للقرآن يدان، وخلف وأمام، وهل الباطل يأتي؟

(٢) ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ﴾ [آل عمران: ٧٢]، فهل رأيت للنهار وجهاً؟

(٣) ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩]، سياق الآية عن أبينا إبراهيم عليه السلام عندما هاجر من العراق، وذهب للشام، فهل كان رب إبراهيم في الشام وذهب إليه؟

(٤) ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ٢٤]، الآية تتكلم عن بر الوالدين، فهل للإنسان جناح ليخفضه لوالديه؟ أو تقول: هل للذل جناح؟

(٥) ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضاً يَسِيراً﴾ [الفرقان: ٤٦]، تتكلم الآية عن الظل، فهل رأيت يوماً أن الله قبض الظل؟

(٦) ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [التحريم: ٨]، تتحدث الآية عن نور المؤمنين يوم القيامة، ووصفه بالسعي، فهل يسعى النور؟؟

(٧) ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]، العير هي الإبل، ونادى منادي الملك على قافلة الإبل إنها سارقة، وهل رأيت جملاً يسرق؟

(٨) ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٨]، فهل يتنفس الصبح؟

(٩) ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]، الحديد من جملة المعادن المستخرجة من الأرض، وهنا أخبرت الآية أن الله أنزل الحديد، فهل رأيت يوما كتل الحديد نازلة من السماء؟

(١٠) ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر: ٦]، الأنعام هي الإبل والبقر والغنم، وهي موجودة على الأرض بوجود الإنسان، فهل أنزلها الله من السماء، أو من الجنة؟

(١١) ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، تتحدث الآية عما حصل يوم بدر، حيث قُتل سبعون من المشركين

بسيوف الصحابة، وتتحدث أيضاً عن قبضة التراب التي رماها النبي ﷺ في وجوه الكفار، فدخلت بأعينهم جميعا، فحُجبت عنهم الرؤية، ولكن الآية هنا أخبرت بأن الذي رمى حفنة التراب هو الله، وأن الذي قتل الكفار هو الله، فلو أُخذ النص على ظاهره، فهل يكون الأمر صوابا؟

هذه آيات يستحيل حملها على ظاهر اللفظ، بل لا بد من المجاز، فإذا قلنا بضرورة المجاز في هذه الآيات، فلا بد من ضروته لغيرها من الآيات التي لا تؤخذ على ظاهر اللفظ، ومن تلك الآيات؛ الآيات المتشابهات .

دليل التنزيه:

قال تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾ [مريم: ٦٥]، لا يوجد في الوجود من تسمى بهذا الاسم: «الله»، فإذا عصم الله تعالى اسمه من المشاركة من أحد من المخلوقين، فكيف بذاته؟ فلن تجد لله تعالى من شبيه ولا مثيل، ولا يشبه الله أحد من خلقه بوجه من الوجوه، إلا من باب المشاكلة اللغوية التي تحدثنا عنها، فلا يصح أن نصف الله باليد، أو الوجه، أو العين، أو القدم، أو الإصبع، أو الرجل، أو الجنب، وغير ذلك من لوازم الأجسام، ولا يصح أن نقول: له وجه لا كالوجوه، أو يد لا كالأيدي، أو أنه ينسى، لكن ليس كنسياننا، وغير ذلك، فإن الاختلاف في وصف الوجه وغيره من الأعضاء لا يدفع عنه التشبيه.

ضرب الأمثلة للفهم عن الله:

جرت عادة الملوك الجلوس على كرسي المملكة، ويطلق عليه اسم السرير، وهو مكان مرتفع عن الأرض، مرصع بأنواع الجواهر، وقد يكون مذهباً، بحيث يحار فيه الناظر، وهو مما يزيد في هيبة الجالي عليه، فيجلس عليه الملك، والخدم قائمون

عليه، وأركان الدولة حوله جلوس على الأرض، فهو متميز عن الجميع في هذا الكرسي، ومتميز أيضاً بعلوه عنهم، كما أنه يضع التاج على رأسه، ويلبس الزي الرسمي المحلى بالنياشين ... وإذا زاره أحد من أهل السلطان والإمارة كره الملك أن يُجلسه مع على الكرسي حتى لا يشاركه في العظمة، فينزل ويجلس معه على التراب، وهذا معروف ومألوف، جاءنا في الأخبار التاريخية .

فخاطب الله تعالى الناس بما ألفوه من مراسم الحكم، فقال: إنكم تعظِّمون ملوككم الجالسين على كرسي صغير، فهبتموهم وعظمتموهم، ونفذتم ما طلبه منكم بكل إخلاص وإتقان، ورأيتم تنفيذ أوامره شرفاً لكم، فأنا ملك الملوك، كرسيي من العظمة ما لا يتخيله عقل بشر، فقد وسع السماوات والأرض، حتى عادت السماوات على وسعها، والأرضين وكانه لا شيء بالنسبة إليه، فلكم أن تتخيلوا عظمة من يملكه، قياساً على ما تشاهدونه بكرسي ملوككم، ثم يأتي الاستطراد الدال على منتهى العظمة فيقول: وإن هذا الكرسي الموصوف ليس لأجلس عليه، وإنما صنعته ليكون موضعاً لقدمي، فأنا لي العرش العظيم، والعرش الكريم، وهو رمز ملكي على كوني، فأي عظمة تتخيلونها، وأي عزة وشرف يبقى لم أتصف به، فأنا الملك، الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، والرفعة دثاري، والجبروت جبروتي، والملك والملكوت لي، فإنا المستحق للتعظيم على وجه الحقيقة لا غيري، وأنا الله هل تعلمون له سميا، ليس كمثلي شيء وأنا السميع البصير.

فلفظ الاستواء هو تقريب للعقل عن حقيقة الأمر، فكما أن اللفاظ الموجودة في المصحف دالة على صفة الكلام الأزلية القديمة، كذلك جاء هنا لفظ الاستواء دالاً على ظهور ملك الله تعالى، وتصرفه في مملكته .

وختاماً نقول:

اللّٰهُمَّ لا علم لنا إلا ما علمتنا، ولا فهم لنا إلا ما فهمتنا، فعلمنا ما ينفعنا وانفعنا فيه، وفهمنا ما أشكل علينا وعرفنا فيه، وزدنا من فضلك علما .

اللّٰهُمَّ صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس رؤوس الموضوعات

الطَّامَّاتُ العَقَدِيَّةُ..... ١

عِنْدَ الحرَكَةِ الوَهابيَّة..... ١

مدخل تاريخي..... ٩

بين يدي الكتاب..... ١٥

المحْكَم والمتشابه..... ١٦

المحكم:..... ١٧

المتشابه:..... ١٨

التأويل:..... ٢٠

تأويل الله تعالى:..... ٢١

التفويض:..... ٢٣

التشبيه:..... ٢٤

التعطيل:..... ٢٤

آيات الصفات:..... ٢٥

تصحيح فهم..... ٢٦

(أولاً) لفظ اليد:..... ٢٦

(ثانياً) لفظ العين:..... ٢٨

(رابعاً) الإتيان والمجيء:..... ٣٠

(خامساً) الحلول:..... ٣٥
مجمل عقيدة الوَهابيَّة..... ٣٨
خطر الوَهابيَّة..... ٣٩
السَّلفيَّة والوَهابيَّة..... ٤٢
أئمة المجسِّمة..... ٤٣
الباب الأول..... ٥٨
المفصل في عقيدة الوَهابيَّة..... ٥٨
إن الله جثة :..... ٥٩
عقيدة الشَّابِّ الأمرد:..... ٦٥
حديث الأوعال:..... ٦٧
قولهم: إن الله خلق الأشياء بيده:..... ٦٨
قولهم بحاسة الشَّمِّ:..... ٧٢
قولهم: بالفخذ والقدم :..... ٧٤
قولهم بعقيدة الأصابع:..... ٧٥
قولهم: بالرُّكبة :..... ٧٧
قولهم: كلتا يديه يمين:..... ٧٨
قولهم بالجوارح:..... ٧٩
قولهم بالحركة والسكون:..... ٨٠

قولهم بالكلام والسكوت:.....٨٠
قولهم: إن الله يتكلم بالعربية:.....٨٠
قولهم: بصفة الأجزاء :.....٨١
قولهم بالظل :.....٨١
قولهم بالتوجع:.....٨٢
أذية الله:.....٨٢
عقيدة الحدِّ :.....٨٣
قولهم: بنزول الرب إلى الأرض:.....٨٣
(قولهم) بجلوس الرب على العرش:.....٨٤
عقيدة الحية:.....٨٨
التدليس عند الوَهابيَّة:.....٨٩
الاستقرار على ظهر البعوضة:.....٩١
عقيدة الجلوس بجانب الله:.....٩١
عقيدة الاتكاء أو الاستلقاء :.....٩٥
عقيدة التمطي ومدِّ الساعدين:.....٩٦
عقيدة: الكرسي موضع القدمين:.....٩٧
قولهم: بقيام الحوادث بالرب:.....٩٨
قولهم: بقِدَم العالم النوعي:.....٩٩

عقيدة: تسلسل حوادث لا أول لها :..... ٩٩
قولهم بالصوت:..... ١٠٠
عقيدة الكراسي :..... ١٠٣
الباب الثاني..... ١٠٤
تنقيصهم النبي ﷺ وأهل بيته..... ١٠٤
ابن عبد الوهاب يصف أبوينا آدم وحواء بالشرك:..... ١٠٥
ابن تيمية ينسب شعيباً إلى الكفر:..... ١٠٦
ابن عبد الوهاب ينسب النبي ﷺ الى الشرك:..... ١٠٨
ابن تيمية لا يرى العصمة للنبي ﷺ:..... ١٠٨
ابن تيمية يمنع زيارة النبي ﷺ :..... ١١١
الاستثناء المفرَّغ:..... ١١٢
ابن باز يحرِّم زيارة النبي ﷺ:..... ١١٦
تخريج أحاديث الزيارة:..... ١٢٣
التقليل من شأن السلام على النبي ﷺ :..... ١٣١
التنقيص من السيدة عائشة :..... ١٣١
تنقيص سيدنا علي :..... ١٣٣
الألباني يتهم أمهات المؤمنين:..... ١٣٤
تكفيرهم والدي النبي ﷺ :..... ١٣٥

النهي عن الصلاة على النبي ﷺ :.....١٣٦
مُناقشةٌ وردٌّ.....١٤١
المجاز في لغة العرب:.....١٤٩
دليل التنزيه: ١٥٢
ضرب الأمثلة للفهم عن الله: ١٥٢